

اجاثا كريستي

جريمة على ضفاف النيل

أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

- بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

جريمة على ضفاف النيل

Death on the Nile

الفتاة «لينيت» فتاة شابة جميلة وثرية ، وكان يهواها الرجل الذي تحبه صديقتها الحميمة. ولكن «لينيت» تتزوج من رجل غيره ويخرجان معًا للتنزه خلال رحلة بحرية في النيل . وهناك يتقابلان مع الشرطي الألمعي «هيركيول بوارو» الذي يرتاب في أمر خروجهما ويظن أن هناك أمرًا غريبًا وراء تلك الرحلة البحرية الطبيعية الرائعة !...

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	150 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	3 دينار	مصر	10 جنيهات
الجزائر	300 دينار	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	العراق	4000 دينار

ISBN 9953383901
9789953383903

جريمة على ضفاف النيل

بوناود الأسطه
يقدّم
الرواية المعربّة

جريمة على ضفاف النيل
(23)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية
أجاثا كريستي

تعريب الأديب
عمر عبد العزيز أمين

الناشر
دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع
تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00
ص.ب 374 جونيه – لبنان
www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع
المركز الدولي – دار البشير

تاليف
Agatha Christy

الاسم الأصلي للكتاب
Death in the Nile (1937)

الغلاف بريشة الفنان العالمي

عبد العال

جريمة على ضفاف النيل

شخصيات الرواية

"**هيركيول بوارو**" : مخبر سري فرنسي متقدم في السن، ذو ذكاء نادر، قصير، بدين، له شارب ضخم.

العقيد "**ريسي**" : ضابط مخابرات بريطاني مكلف بتعقب عصابة دولية من الأشقياء والمتآمرين.

"**لينيت ريدجواي**" : شابة مليونيرة رائعة الجمال.

لورد "**ويندلشام**" : شاب أمريكي من الطبقة الأرستقراطية يريد الزواج بـ"**لينيت ريدجواي**" .

"**جاكلين دي بلفور**" : حسناء صديقة "**لينيت**" ومن زميلاتها في المدرسة، أصابها الفقر بعد غنى.

"**سيمون دويل**" : شاب فقير، وسيم، خطيب "**جاكلين**" .

"**جوانا ساوثوود**" : صديقة "**لينيت**" ، ومن المنتسبات إلى الطبقة الراقية الإنجليزية.

"**تيم آلرتون**" : ابن خالة "**جوانا**" ، شاب راق مستور الحال.

السيدة "**آلرتون**" : أم "**تيم**" ، أرملة ساحرة الشخصية.

"**أندرو بننجتون**" : الوصي الأمريكي على تركة جد "**لينيت**" .

"**جيمس فانثورب**" : ابن شقيق محامي "**لينيت**" الإنجليزي الشيخ بـ "**إنجلترا**" ، كلفه عمه بمراقبة "**لينيت**" في "**مصر**" .

"**كورنيليا**" : فتاة أمريكية راجحة العقل، مرافقة في السفر لخالتها.

العانس "**فان شويلر**" : خالة "**كورنيليا**" ، مليونيرة عجوز متعجرفة.

السيدة "**أوثربورن**" : أرملة كثيرة الثرثرة، دأبت على تأليف روايات حافلة بالمسائل الجنسية.

"**روزالي أوثربورن**" : ابنتها الحسناء المتحفظة.

"**فرجيسون**" : شاب زري الهيئة متطرف يجاهر بآرائه.

"**لويز بورجيه**" : وصيفة "**لينيت**" الفرنسية.

الدكتور "**بسنر**" : طبيب نمسوي قارب الخمسين من عمره.

"**جويدو ريشتي**" : عالم في الآثار، إيطالي الجنسية.

الفصل الأول

في قرية "**مولتون أندر**"، تلك القرية الجميلة من قرى الريف الإنجليزي الساحر، وقف صاحب حانة "التيجان الثلاثة" مع زبائن حانته يتهامسون في اهتمام بالغ، وقد اتسعت حدقات عيونهم وانفرجت شفاههم في دهشة حينما رأوا سيارة الرولزرويس الحمراء تقف أمام مكتب البريد، وتقفز منها فتاة عارية الرأس ترتدي ثوبا يبدو بسيطا – نعم يبدو بسيطا، فهو ليس بسيطا إلا في الظاهر فقط – وكانت الفتاة جميلة المنظر. جذابة الطلعة من طراز يندر مشاهدته في تلك القرية. وقال صاحب "التيجان الثلاثة" لرفاقه ومواطنيه:

– إنها هي، صاحبة الملايين العديدة، لقد اشترت من السير "**جورج**" قصره وضيعته، وستنفق في تجديده وإعداده آلافا مؤلفة، فعما قريب ستكون للقصر حمامات سباحة، وحدائق إيطالية، وقاعة رقص.. إنها ستهدم نصف القصر – أيها الفتيان – لتعيد بناءه من جديد.

– ولماذا باع السير "**جورج**" القصر؟

– خيول السباق أيها الصديق!

– وكم دفعت فيه؟

– دفعت ستين ألفا من الذهب فيما سَمِعْتُ! فتعالى صفير السامعين، فهو رقم خيالي في نظر أولئك الريفيين. فقال محدثهم ليزيدهم ذهولا:

– وستنفق أكثر من ستين ألفا أخرى على التأثيث والإعداد.

– إنه لظلم، ولا شك في أن هذه الفتاة تتمتع بكل شيء: الثروة الواسعة، والصحة، والشباب، والجمال الرائع.

– هذا شيء عظيم! وأمسك صاحب الحانة بإحدى الصحف، وراح يقلب صفحاتها، ثم قال:

– إليكم ما نشره محرر باب الاجتماعيات في صحيفتنا المسائية عن هذه الفتاة الحسناء:

"رأيت بين مَنْ تناولوا عشاءهم في مطعم "عند عمتي" الفاخر المليونيرة الشابة الحسناء "**لينيت ريدجواي**" وفي صحبتها صديقتها "**جوانا ساوثوود**"، واللورد "**ويندلشام**"، والمليونيرة –كما هو معروف– ابنة "**ملويش ريدجواي**" الذي تزوج بالأمريكية "**آنا هارتس**"، وقد أوصى جدها لأمها بملايينه الكثيرة لهذه الفتاة الشابة، واختار لها وصيًّا أمريكيًّا يدعى "**أندرو بننجتون**" يقوم بإدارة ممتلكاتها حتى تتزوج أو تبلغ سن الحادية والعشرين، وهي اليوم موضع الاهتمام لجمالها وثرائها، وتتناقل الأفواه إشاعة قرب إعلان خطبتها من اللورد "**ويندلشام**" المفتون بها".

*****

وخرجت الفتاة من مكتب البريد واستقلت سيارتها، وتوجهت فورًا إلى قصر "**وود**" الذي اشترته من السير "**جورج**". وهناك كانت تنتظرها صديقتها "**جوانا ساوثوود**"، ودار الحديث بين الصديقتين حول مشروعات تجديد القصر التي كان معظمها قد تم فعلا، ولم تبق إلا الدقائق النهائية، ولذلك لم تكتم "**جوانا**" إعجابها، فقالت:

– ما أبرعك يا "**لينيت**"! لقد أتممت الكثير في أقصر وقت.

– لقد استخدمت ثلاثة من المهندسين المعماريين في وقت واحد.

– إنك يا عزيزتي فتاة أعمال من الطراز النادر. وتناولت "**جوانا**" عقدًا رائعًا من اللؤلؤ من فوق مائدة الزينة وقالت:

– أظنها لآلئ حقيقية يا "**لينيت**"؟

– طبعًا.. أنا أكره التقليد في كل شيء.

– آه.. أظنه يساوي مبلغًا طائلاً؟

– حوالي خمسين ألفا.

– يا لها من ثروة! ألا تخافين أن يسرق؟

– كلا!

– لماذا؟

– لأنني أولاً، ألبسه دائمًا؛ ولأنه ثانيًا مُؤمَّن عليه.

– دعيني ألبسه حتى وقت العشاء، فإنه يلذ لي كثيرًا أن أشعر بهذه اللآلئ الثمينة النادرة فوق صدري. فضحكت "لينيت" وقالت:

– لك هذا طبعًا.

– أتعلمين يا "لينيت" أنني أحسدك حقيقة؟ إنك تتمتعين بكل شيء، فأنت سيدة نفسك، في العشرين من عمرك، ربة ثروة هائلة وجمال فتان وصحة تامة، ولك فوق هذا عقل راجح وذهن مرتب.. متى تبلغين الحادية والعشرين؟

– في شهر حزيران (يونيو) المقبل.. وأعتزم أن أقيم لهذه المناسبة حفلة استقبال رائعة في "لندن".

– وعندئذ ستتزوجين اللورد "ويندلشام"؟ فهزت كتفيها ثم قالت:

– لا أدري، فالواقع أن اختياري لم يستقر بعد على شخص معين.

*****

وفي هذه اللحظة رن جرس التليفون فرفعت "لينيت" السماعة، فإذا بكبير الخدم يعلن إليها أن "جاكلين دي بلفور" (على الخط)، فأمرته بتوصيلها بها:

– "لينيت".. أيتها العزيزة.

– أيتها العزيزة "جاكلين".. لقد افتقدتك منذ أجيال!

– أعلم هذا.. ولذلك أريد أن أراك بأسرع وقت.

- الا تستطيعين الحضور يا عزيزتي؟ إنني هنا في قصري الريفي الجديد ويشوقني كثيراً أن تشاهديه.

- أتمنى هذا من كل قلبي.

- إذن اقفزي في أول قطار أو سيارة وتعالي حالاً..

- وهو كذلك.. عندي سيارة ذات مقعدين من عهد "نوح"، اشتريتها بخمسة عشر جنيها، وهي "صاحبة مزاج"، وعسى أن يهديها الله اليوم فأصل إليك ياعزيزتي قبل موعد الشاي.. إلى اللقاء أيتها العزيزة. وبعد أن وضعت "**لينيت**" السماعة، التفتت إلى "جوانا" وقالت:

- هذه "**جاكلين دي بلفور**"، كانت زميلتي في مدرسة الدير بـ "**باريس**"، وهي أقدم صديقاتي، وكان والدها "**كونتًا**" فرنسيًّا، أما أمها فهي مثل أمي أمريكية من أهل الجنوب، وقد هرب والدها مع امرأة أخرى، ثم فقدت أمها ثروتها عن آخرها في مضاربات البورصة، وبذلك أصبحت "**جاكلين**" خالية الوفاض تمامًا، ولست أدري كيف تمكنت من الحياة في السنتين الأخيرتين.

- هي إذن من النوع المزعج.

- ولماذا؟

- أنا شخصيًّا أيتها العزيزة إذا حلَّ بأي شخص من أصدقائي بلاء الإفلاس قاطعته فوراً. وهذا يبدو ضربا من القسوة، ولكنه يوفر متاعب كثيرة فيما بعد. فهذا النوع يطلب دائمًا قروضا لا ترد، أو يفرض على المعارف والأصدقاء شراء أزياء وروائح من أردإ الأنواع بأسعار خرافية.

- إذن.. لو فقدتُ ثروتي اليوم...

- أقاطعك منذ الغد! فأنا لا أحب يا عزيزتي إلا الموفقين الناجحين، والواقع أن معظم الناس مثلي، ولكن أكثرهم لا يعترفون بذلك صراحة.

- ما أفظعك يا "جوانا"! ولكنك على كل حال أخطأت الظن بـ "**جاكلين**"، فقد

عرضتُ عليها مرارًا أن أساعدها ماديًّا ولكنها كانت ترفض، فإن لها كبرياء مثل كبرياء الشيطان.

– فيم إذن شوقها إلى رؤيتك؟ أراهنك أنها تريد منك شيئا.

– يبدو لي من لهجتها فعلاً أنها متحمسة مشتاقة إلى شيء، ولكنني أعرف أن "**جاكلين**" تتحمس بسهولة، وقد رأيتها مرة وهي مدفوعة بحماستها تغرس مدية في ذراع غلام.

– ما أروع هذا! إنها شخصية مثيرة خطرة!

– كان هذا الغلام يعاكس كلبا صغيرا، ونهته "**جاكلين**" فلم يرتدع، فحاولت إرغامه بقوة يديها، ولكنه كان أقوى منها، فاستلت المدية وغرستها في ذراعه.

وفي هذه اللحظة دخلت الخادمة الغرفة، فتناولت ثوبا وخرجت لتكويه، فلاحظت "**جوانا**" احمرار عينيها، فسألت "**لينيت**" عن ذلك فقالت:

– يا لها من مسكينة.. لقد كانت راغبة في الزواج بشاب إنجليزي موظف في "**مصر**"، وكانت تجهل عنه كل شيء، فرأيت من المناسب أن أستفسر عنه لكي أطمئن إلى مستقبلها، فتبين لي أنه متزوج بمصرية وله ثلاثة أطفال، فأخبرتها بذلك فقطعت علاقتها به، ولكنها تكثر من البكاء. إنها معذورة.

*****

وفي ذلك الوقت كان اللورد "**ويندلشام**" جالسا في ظل شجرة من أشجار حديقة القصر، وقد انصرف بصره إلى الواجهة الرشيقة التي صار يتمتع بها قصر "**وود**" الريفي، فاستراح إلى ذلك المنظر الذي يشيع في النفس الغبطة والهدوء والأمن. وتذكر لهذه المناسبة قصرًا ريفيًّا آخر، هو قصر أسرته التاريخي المتوارث المعروف باسم قصر "**شارلتو نبيوري**". وتخيل على عتبته فتاة رشيقة حسناء ذهبية الشعر – هي "**لينيت**" – فتنهد شوقا إلى أن يراها، وقد أصبحت سيدة ذلك القصر

العتيد أيضًا. إنه مازال يامل أن تقبل الزواج به مع أنها كررت رفضها أكثر من مرة؛ لأن ذلك الرفض لم يكن قاطعا، بل هو أشبه ما يكون بالإرجاء والتأجيل.

*****

وفي نحو الساعة الرابعة وصلت السيارة الصغيرة، وخرجت منها فتاة دقيقة التكوين سوداء الشعر لم تلبث أن وقعت على صدر "**لينيت**". وكانت هذه الفتاة هي "**جاكلين دي بلفور**". وقدمتها "**لينيت**" إلى اللورد "**ويندلشام**"، الذي لم يلبث أن تركهما معًا، فراحت الصديقتان تتبادلان الذكريات والأخبار، إلى أن قالت "**جاكلين**" إنها مخطوبة لشاب وسيم فارع القوام يدعى "**سيمون دويل**"، وأنهما متحابان إلى درجة الهوس، ولكنه فقير وإن كان ينحدر من أسرة عريقة، وأنه ضاق بالعمل في "**لندن**" لكراهيته حياة المدن، ولهذا فهو يبحث عن وظيفة في الريف: ناظر لضيعة كبيرة مثلا أو ما أشبه، وعقبت على ذلك بقولها:

– إنني لا يمكن أن أتزوجه طبعًا ما لم يجد عملا، ولكني أيضًا سأموت حتمًا إذا لم أتزوجه.

– لا تكوني حمقاء يا "**جاكلين**".

– قلت لك سأموت حتمًا.. أنا مجنونة به وهو مجنون بي، ولا حيلة لنا في الحياة بغير زواج، ولهذا أريد منك ما دمت قد اشتريت هذا البيت والضيعة أن تساعدينا، فلابد لك من ناظر زراعة، فليتك تجعلين "**سيمون**" هذا الناظر. واندفعت "**جاكلين**" تؤيد هذه الفكرة وتزكي خطيبها بحماسة، إلى أن قالت "**لينيت**" أخيرًا:

– أحضريه لأراه وأتحدث معه في الموضوع. فهجمت عليها "**جاكلين**" وراحت تقبلها بهوس، ثم أسرعت منصرفة، كي تبشره، وأبت أن تنتظر حتى تتناول الشاي.

*****

نحن الآن في المطعم الفاخر المعروف باسم "عند عمتي"، وصاحب المطعم لا يتحرك للاحتفاء بزبائنه البارزين الوجهاء، إلا في حالات نادرة جداً. وهو في هذه الليلة قد تحرك لاستقبال رجل قصير القامة، مكتنز الجسم، مضحك الشكل، له شاربان كثيفان، وكان المطعم مكتظًا بحيث ظل السقاة في نصف الساعة الأخير يعتذرون للزبائن عن عدم وجود موائد خالية. لكن سرعان ما أحضروا لهذا الرجل القصير المضحك مائدة وضعوها في أنسب مكان، وتولى السيد "**بلوندان**" صاحب المطعم إجلاسه إليها بنفسه وهو يبالغ في تحيته وإكرامه، ثم انتخب بنفسه أصناف الأشربة والأطباق، وراح يجاذبه أطراف الحديث إلى أن يحضرها الخدم:

– ألديك قضايا مهمة في هذه الأيام يا سيد "**بوارو**"؟

– إني الآن.. وا أسفاه.. في حالة تقاعد، بعد أن توافرت عندي الوسائل المادية للبطالة السعيدة.

– إني أحسدك.

– أنت مخطئ.. فقد بدأت أسأم الفراغ. فما أصدق الذي قال: إن الإنسان اضطر إلى اختراع العمل كي يهرب من أفكاره!

– ولماذا لا تتسلى بالأسفار؟

– هذا ما عزمت عليه، وقد أعددت العدة لزيارة "**مصر**" في هذا الشتاء، فالطقس هناك رائع فيما يقولون. ويمكنني أن أسافر من "**لندن**" إلى "**القاهرة**" بالقطار عبر "**أوربا**" و "**تركيا**" و "**الشام**"، كي أتجنب السفر بالبحر.

– ألا يناسبك سفر البحر؟

فارتعدت فرائص "**هيركيول بوارو**" – رجل البوليس السري المعروف – بعض الشيء لمجرد ذكر البحر. وفي هذه اللحظة بدأت الموسيقى تصدح، وبدأ الخدم يتوافدون بالأطباق والشراب، فجعل "**بوارو**" يستمتع بالطعام والشراب والموسيقى، ولفت نظره من بين الراقصين شاب وفتاة في ميعة الشباب وبهاء الجمال. ثم انتهت

الرقصة فجلسا بالقرب منه، فشعر بإشعاع من سعادتهما يغمره ويرده إلى الشباب، وكانت الفتاة شديدة الحماسة مبالغة في اهتمامها بصاحبها، فراح "**بوارو**" يرقبها باهتمام أبوي، وسمع اسم "**مصر**" يتردد على لسانهما، فإذا بالشاب يقول:

– لابد من تمضية شهر العسل يا عزيزتي "**جاكلين**" في "**مصر**" مهما يكلفنا الأمر، لقد كنت أحلم دائمًا بمشاهدة الأهرام والنيل والصحراء المترامية.

– حقق الله الأحلام يا "**سيمون**".

*****

وفي الصباح التالي وصلت "**جاكلين**" إلى قصر "**وود**" ومعها خطيبها "**سيمون دويل**". فرأت فيه "**لينيت**" شابًّا طويل القامة عريض الكتفين له عينان شديدتا الزرقة، وشعر كستنائي متموج، وذقن بارز، وابتسامة صافية جذابة كابتسامات الأطفال.. فمدت له يدها، فتناولها في قبضته القوية الدافئة، وأعجبها منه تلك النظرة التي تفيض بالإعجاب الساذج، فشعرت بما يشبه التخدير الخفيف يسري في عروقها، أعلنت فوراً أنها اختارته للمنصب الذي طلبته له "**جاكلين**". وفي أعماق نفسها كانت تهتف بصراحة وجلاء: "ما أحسن حظك يا "**جاكلين**"!".

*****

وبعد بضعة أيام، كان "**تيم آلرتون**" منطرحا فوق مقعد من مقاعد الشواطئ على ساحل جزيرة "**ملدوكا**"، يتثاءب ويحملق إلى البحر، ويلقي بنظرات جانبية نحو والدته السيدة "**آلرتون**"، وهي سيدة بيضاء الشعر جميلة الصورة في الخمسين من عمرها، وكانت تجتهد دائمًا في إخفاء حنانها على ابنها الوحيد، لكن ذلك لم يكن ليجدي؛ لأن ذلك الحنان كان شديدًا لا قبل لها بإخفائه. ولعل السبب أن وحيدها كان مهددا منذ سنوات بالإصابة بالسل، فكانت تقضي وقتها في العناية

به، وقد أغنته بمالها القليل عن العمل. وسألته أمه أخيراً عمَّا يُشغل ذهنه، فقال:

– كنت أفكر في "مصر".. بلاد الدفء، والرمال الجميلة في أحضان النيل الحالم.. فكم أتمنى أن أركب ظهر النيل هذا الشتاء.

– وأنا كذلك.. لكن ذلك يتطلب نفقات طائلة لا يقدر عليها أمثالنا ممن يحرصون على أن يخفوا رقة حالهم ويحفظوا على أنفسهم المظهر اللائق.

– سأتكفل أنا بهذا.. فقد حدث أخيراً انتعاش في سوق الأسهم أفدت منه، وقد بلغني هذا اليوم.

– اليوم؟! لم يصلك إلا خطاب واحد، عرفت من خط المظروف أنه مرسل من "**جوانا**".

– هذا صحيح.. لكني أعني أن خطاب السمسار وصلني أمس مساء.

– ما أخبار "**جوانا**" ابنة خالتك وصديقتها "**لينيت**"؟

– لقد رحل "**ويندلشام**" إلى "**كندا**" كسير الفؤاد بعد أن خذلته "**لينيت ريدجواي**"، وقررت أن تتزوج قريبا جداً ناظر ضيعتها.

– عجباً.. إنه صعلوك ولا شك؟

– كلا.. إنه من آل "**دويل**"، من أشراف مقاطعة "**ديفو نشاير**"، ولكنه معدم؛ لأنه الابن الأصغر فلم يرث شيئا. وقد كان خاطب "**جاكلين دي بلفور**" أصدق صديقات "**لينيت**".. ويقال إنها كانت متيمة في هواه.

– هذا فظيع! وما أخبار "**جوانا**" الشخصية؟

– تشكو الأزمة، حتى أنها تفكر في فتح محل للأزياء.

– إنها تزعم الإفلاس، وهي ترتدي دائماً أفخم الملابس.

– وماذا في ذلك يا أماه ما دامت لا تدفع ثمنها؟

– ماذا تعني؟

– لست أعني ما تقصدين.. وإنما قصدت أنها تماطل دائماً في تسديد الفواتير.

– دعنا من هذا الحديث.. قل لي متى ستسافر إلى "**مصر**"؟

– في شهر كانون الثاني (يناير)، وهو أحسن الشهور في "**مصر**".

– عظيم.. لكن لا تنس أنني وعدت السيدة "**ليدج**" أن تذهب معها إلى مركز البوليس، فهي تجهل اللغة الإسبانية وعليك أن تترجم لها.

– من أجل خاتمها؟ ذلك الخاتم ذي الياقوتة القرمزية؟ لقد رأيتها تنزل إلى البحر وهو في أصبعها، ثم تخرج من غيره، فلا شك في أنه وقع منها وهي تسبح.

– ولكنها تؤكد أنها تركته على مائدة الزينة وعادت فلم تجده.

– إنها واهمة أو كاذبة.. لقد رأيتها بعيني رأسي.

*****

وبينما كان يدور هذا الحديث، كان السيد "**أندرو بننجتون**" –الوصي الأمريكي على تركة "**لينيت ريدجواي**" –يفض البريد الوارد إليه في مكتبه بـ "**نيويورك**"، وإذا بوجهه يكفهر ويدعو شريكه السيد "**رو كفورد**" على عجل، فيقول له بعد أن اختليا معًا:

– خبر صاعق! "**لينيت**" تزوجت.

– كيف؟! ومتى؟! ولماذا لم تخبرنا؟!

– هذا الخطاب يقول إنها ستتزوج في اليوم الرابع من هذا الشهر، أي اليوم.

– ومَنْ الرجل الذي ستتزوجه؟

– اسمه "**سيمون دويل**".

– وأي رجل هو في الرجال؟

– إنها لا تذكر عنه الكثير.. وماذا نصنع الآن؟

– إن الباخرة "**نورماندي**" ستبحر اليوم، فيجب أن تسافر عليها لتحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

- إن "لينيت" تقول إنها راحلة لتمضية شهر العسل في "مصر".

- إذن اذهب إلى هناك وتصنّع أنك في رحلة للنزهة، وأنك التقيت بها هناك مصادفة، والباقي متروك لفطنتك.

وبعد تفكير قليل استقر الرأي على ذلك، خصوصًا أن "لينيت" تثق كثيرا بالعم "أندرو بننجتون"، الأمر الذي يسهل عليه توقيع ما يلزم من الأوراق منها، كي يسوي الحسابات المختلفة، فقد كان زواجها يعني انتهاء وصايته على تركتها.

*****

ومضت مدة ليست بالطويلة، وصلت بعدها من "لينيت" رسالة إلى محام إنجليزي شيخ كان يتولى بعض أمورها في "إنجلترا"، فاستدعى المحامي ابن أخته الشاب الذي يتمرن في مكتبه ليطلعه على الخطاب الذي ذكرت فيه أنها أمضت مع عريسها أسبوعا في فندق "مينا هاوس"، ثم قامت برحلة إلى بحيرة "قارون" في "الفيوم"، وأنها ستركب الباخرة النيلية "الكرنك" بعد يومين لزيارة "أسوان" و"الأقصر"، ثم التوجه إلى وادي "حلفا"، كما ذكرت في الخطاب أيضًا:

"ولما ذهبنا اليوم لحجز التذاكر في مكتب شركة "كوك"، إذا بي افاجا بالوصي الأمريكي على ثروة جدي، وهو السيد "أندرو بننجتون"، ولم أكن لأعرف أنه في "مصر" كما كان يجهل هو وجودي بها، وأنني تزوجت، فقد وصل خطابي بعد قيامه من "نيويورك" بيوم واحد، وهو ذاهب على نفس الباخرة النيلية في تلك الرحلة البديعة. فانظر إلى أعاجيب المصادفات".

وقد أظهر المحامي الإنجليزي العجوز ريبته في أن تكون المسألة مصادفة، وخشي أن يكون هناك تلاعب من جانب الوصي الأمريكي، فأمر ابن شقيقه الشاب "جيمس فانثورب" بالسفر في ذلك اليوم نفسه إلى "القاهرة" بالطائرة، وركوب الباخرة النيلية كي يرقب الحالة من كثب، دون أن يظهر شخصيته للآنسة "لينيت

ريدجواي" التي صارت السيدة "**لينيت دويل**". وأوصاه أن يستعمل ذكاءه وأن يكون على حذر، وألا يدخر وسعًا في إحباط أية مؤامرة أو مكيدة.

*****

وفي مدينة "**القدس**" -في أحد أبهاء فندق الملك "**داود**" -كانت السيدة "**أوثر بورن**" -إحدى الروائيات -تثبت على رأسها عمامة ضخمة، وتقول لابنتها الشابة الجميلة "**روزالي**":

- لماذا لا نذهب إلى "**مصر**"، فقد سئمت "**القدس**"!

- كما تشائين يا أماه.

- لقد عاملني أصحاب الفندق معاملة غير لائقة، معاملة شائنة. ففي وجود مؤلفة مثلي بالفندق دعاية له ولا شك. فلما طلبت منهم تلميحا أن يراعوا ذلك فيمنحوني تخفيضا خاصًا، رفضوا بكل وقاحة.

- لا عليك يا أماه.

- لقد أخذت بثاري، فصارحتهم برأيي فيهم، وهذا الصباح جاءني المدير وقال لي بكل صفاقة إن جميع الحجرات محجوزة مقدما، وإنه يرجوني إخلاء حجرتنا في خلال يومين.

- إذن يجب أن نرحل إلى مكان آخر.

- كلا.. فإنني مستعدة للدفاع عن حقوقي.

- ولماذا نضايق أنفسنا بالبقاء؟ لماذا لا نذهب إلى "**مصر**" كما تريدين؟

- لا مانع.. وإن كنت لست مشتاقة إلى ذلك، فليست هذه الرحلة إلى "**مصر**" أمرا ضروريًا تتوقف عليه الحياة.

*****

واتفق أيضا في هذا الوقت أن سيدة أمريكية تدعى "**روبسون**" كانت تشكر أختها العجوز العانس "**فان شويلر**"؛ لأنها قررت اصطحاب ابنتها الشابة اللطيفة "**كورنيليا**" في رحلتها إلى "**مصر**"، وحينما خرجت السيدة "**روبسون**" من الحجرة التقت بالآنسة "**بويرز**" الممرضة الملازمة للعانس، فدار بينهما الحوار التالي.

– إنك ستلازمين طبعا سيدتك في "**مصر**"؟

– لا شك يا سيدتي.. كما لازمتها في العام الماضي في "**باريس**". فرمقتها السيدة "**روبسون**" بنظرة ذات معنى وقالت:

– أرجو ألا تحدث متاعب.

– أرجو هذا.. فسأكون متنبهة دائمًا وعلى حذر، ولن يقع شيء مكدر.

الفصل الثاني

كانت السيدة "**آلرتون**" جالسة مع ابنها "**تيم**" في بعض تلك المقاعد القرمزية المصنوعة من القش في حديقة فندق "**كتراكت**" بمدينة "**أسوان**". وكانا يرقبان شخصين، أحدهما رجل قصير القامة يرتدي بذلة من الحرير الأبيض، والآخر فتاة طويلة القامة نحيفة. وقالت السيدة "**آلرتون**" لابنها:

– هذا الرجل هو "**هيركيول بوارو**" المخبر السري المشهور. فاعتدل "**تيم**" في جلسته منتبها، وقال بدهشة عظيمة:

– أهو هذا الرجل القصير المضحك؟!

– هو بعينه.

– وماذا يصنع هنا؟

– لكن لماذا تنزعج هكذا؟ لست أظنه على كل حال هنا لغير النزهة، فقد جمع من مهنته ثروة كبيرة.

- وأراه لا يبخل على نفسه بصحبة أجمل فتاة في الفندق. والواقع أن الفتاة كانت أطول من "بوارو" بحوالي سبعة سنتيمترات، وكانت مشيتها رشيقة وملامحها جميلة.. لكن تبدو عليها آيات الضيق والتجهم، وكانت هذه الفتاة هي "روزالي أوثربورن". وكانت تتحدث إلى "بوارو" عن تلك الرحلة النيلية إلى وادي "حلفا"، وهما في طريقهما للتجول في شوارع المدينة وتفقد محال الآثار. وفي طريق عودتهما وجدا زحاما على الشاطئ، بسبب وصول باخرة نيلية تقل الركاب من "القاهرة"، فوقف "بوارو" و "روزالي" يشاهدان النزلاء الجدد الذين سيحلون معهما في الفندق. فانتهز "تيم آلرتون" الفرصة وانضم إليهما ليتمتع بقرب الفتاة التي أعجب بها منذ رآها، وإذا به يصيح بعد قليل:

- عليَّ اللعنة إذا لم تكن هذه "لينيت ريدجواي"!

ولئن كان "بوارو" لم يكترث لهذه العبارة، إلا أن "روزالي" تحركت لها وتخلت عن وجومها المألوف لتتأمل المليونيرة التي شغلت الأوساط الراقية في "بريطانيا" تلك السنة، في حين استطرد "تيم آلرتون":

- إنها هذه المتشحة بالبياض، وهذا الرجل المديد القامة الذي بجوارها هو زوجها الجديد "سيمون دويل".

- لقد كانت صورتهما في جميع الصحف. إنها أغنى امرأة في "إنجلترا".

- وهي إلى هذا.. حسناء.

- نعم.. السماء تحابي بعض الناس فتمنحهم كل شيء.

*****

وكانت "لينيت" تعلم أن جميع الأنظار موجهة إليها، فكانت تهبط سلم الباخرة في رشاقة وثقة بالنفس، أشبه بثقة الممثلة القديرة وهي تخطر على المسرح عند ارتفاع الستار، في غير مبالاة بتلك الأنظار؛ لأنها أصبحت شيئا مألوفا في حياتها،

وكان زوجها يتحدث إليها بصوت خفيض يفيض رقة، وعيناه تنطقان بالرعاية والهيام. فلما مرا بجوار "بوارو" ورفيقته طرقت مسمعه نبرات صوت "سيمون"، فقطب حاجبيه وحدق النظر إلى الشاب. أما "تيم آلرتون" فقال:

– يا له من حظ عظيم! لقد ظفر بالمال والجمال. فقالت "روزالي" بلهجة لا تخلو من حسد:

– إنهما يبدوان في غاية السعادة.. والله إن هذا لكثير! ولكنها قالت العبارة الأخيرة بصوت خافت حتى لا يسمعها "تيم". لكن "بوارو" سمعها، فقال لها بعد أن غادرهما "تيم" ليلحق بوالدته:

– من يدريك أنهما سعيدان؟ لِمَ لا تكون ضحية ثرائها؟ فهتفت "روزالي":

– ألم تر كيف يهيم بها؟

– رأيت.. ولكنني رأيت شيئا آخر أيضا.. رأيت خطوطا سوداء تحت عيني العروس.. ورأيت يدها تقبض على مظلتها بقوة وعصبية حتى لقد ابيضت مفاصل أصابعها.. إن لها سرًّا! ثم إنني أعرف شيئا آخر: أعرف ذلك الصوت؛ لأنني سمعته من قبل، أعني صوت السيد "سيمون دويل"، وإن كنت لا أذكر أين سمعته على وجه التحديد.

– ربما، ربما، ولكنني مع هذا أشعر نحوها بكراهية شديدة، فهي ظاهرة الثقة بنفسها كأنها ملكة تستطيع أن تحصل على كل شيء تشتهيه. في حين أنني... عفوك! أظن أنه ينبغي لي أن ألحق الآن بوالدتي فإنها متوعكة.

وكانا قد وصلا إلى البهو المعتم، فتركته مسرعة، وقد خجلت مما بدر منها من عواطف الغيرة والحسد. فاتجه السيد "بوارو" إلى شرفة الفندق المطلة على النيل؛ حيث كانت قد بسطت موائد الشاي. ولكن الوقت لم يكن قد حان، فوقف يتأمل النهر المتدفق لحظة، ثم اتجه إلى الحديقة، فوجد فريقا من النزلاء يلعبون التنس في الشمس الحامية، فوقف يرقبهم قليلا ثم شرع يمشي في الممرات بين الأشجار.

وهناك، وعلى مقعد من تلك المقاعد الخشبية المواجهة للنيل، وجد الفتاة التي رآها تلك الليلة وهو يتعشى في مطعم "عند عمتي"، فعرفها فوراً ولكن تعبير وجهها هذه المرة كان يختلف كل الاختلاف عن تعبيره ليلة المطعم. فهي اليوم شاحبة، وهي ليلتئذ كانت تمثالا حيًّا للبهجة والحيوية. تراجع "بوارو" قليلا. ولم تكن الفتاة قد رأته، فراح يراقبها من كثب على غرة منها، فرآها تدق الأرض بقدميها الصغيرتين في صبر نافد، ورأى في الشرر الذي يندلع من عينيها ما يدل على العذاب والإصرار.

واكتملت الصورة في ذهنه! فإن وجهها قد ذَكَّرَهُ بصوت الشاب. لقد كان "**سيمون دويل**" زوج المليونيرة الحسناء "**لينيت**" هو ذلك الشاب الذي كان بصحبة هذه الفتاة الوحيدة المعذبة "**جاكلين**" ليلة المطعم؛ حيث لفت نظره تدلهها في حبه. وفي هذه اللحظة ترامت إلى سمعه أصوات تقترب، فإذا بالفتاة الجالسة فوق المقعد تنهض واقفة على قدميها، ثم إذا "**لينيت دويل**" وزوجها ينحدران إلى ذلك الموضع من الممشى الظليل. وكان صوت "**لينيت**" ينبئ عن السعادة والثقة، فلما اقتربت رأى "**بوارو**" أن ذلك التوتر قد فارق عضلات وجهها، وأن السعادة كانت تفيض من كل جارحة فيها. تقدمت الفتاة التي كانت جالسة نحوهما خطوتين، فإذا العروسان يجمدان في مكانهما مأخوذين. وهتف "**جاكلين دي بلفور**":

– أهذه أنت يا "**لينيت**"؟ يخيل إليّ أننا لن ننتهي من ذلك الالتقاء على غير اتفاق وعلى غير ميعاد. وبإيماءة من رأسها ودعتهما وابتعدت بين ظلال الأشجار، فاتجه "**بوارو**" بخفة إلى الناحية المقابلة، ولكن بعد أن سمع "**لينيت**" تقول:

– بربك يا "**سيمون**" ماذا نصنع؟!

*****

الفصل الثالث

انتهى العشاء، وكانت شرفة فندق "**كتراكت**" تسبح في ضوء ضعيف لطيف هادئ، وقد جلس معظم النزلاء على الموائد الصغيرة يستمتعون بانسام المساء الدافئ. وأقبلت في تلك اللحظة "**لينيت دويل**" وزوجها، ومعهما رجل طويل القامة وجيه المنظر أبيض الشعر حليق الذقن ينطق كل شيء فيه بالنمط الأمريكي لرجال الأعمال. ووقف الثلاثة بباب الشرفة مترددين، فخف إليهم "**تيم آلرتون**" وقال لـ"**لينيت**" ببشاشة:

– لعلك لا تذكرينني.. أنا ابن خالة "**جوانا ساوثوود**".

– نعم نعم.. ما أغباني! أنت "**تيم آلرتون**".. هذا زوجي وهذا الوصي الأمريكي على أملاكي السيد "**بننجتون**".

– تشرفنا.. وأعتقد أنك يجب أن تتعرفي إلى والدتي.

وبعد دقائق كان الجميع يجلسون إلى مائدة واحدة مع السيدة "**آلرتون**". وتحرك الباب المزدوج، فالتفت "**لينيت**" نحوه باهتمام، وإذا برجل قصير القامة يدخل منه، ويخترق الشرفة، فابتسمت السيدة "**آلرتون**" وقالت:

– إنك لست الشخصية الوحيدة المشهورة هنا يا عزيزتي، فهذا الرجل القصير المضحك هو "**هيركيول بوارو**". وكانت السيدة "**آلرتون**" تقول لها هذا الكلام على سبيل "الدردشة" التي تتصيد السيدات مناسباتها من هنا وهناك لقطع الوقت، لكن يبدو أن "**لينيت**" فوجئت بهذا النبإ واهتمت له اهتمامًا خاصًا:

– "**هيركيول بوارو**"؟! لقد سمعت به طبعًا.

وشرد بصرها بعد ذلك حتى لقد وجد "**تيم**" و"**بننجتون**" صعوبة في مجاذبتها أطراف الحديث برهة غير قصيرة. وكان "**بوارو**" قد اخترق الشرفة حتى وصل إلى الحاجز، وإذا بصوت نسائي يسترعي انتباهه قائلا:

– اجلس يا سيد "بوارو"، إنه لمساء جميل. فصدع بالأمر قائلا بالفرنسية التي كان يمزجها بإنجليزية:

– أجل يا سيدتي، إنها ليلة جميلة حقًّا. وابتسم تأدبا للسيدة "أوثربورن" مؤلفة الروايات التي كانت ترتدي تلك العمامة السخيفة الملفتة للنظر فوق ثوب أسود أسخف منها أيضا، فاستطردت:

– أرى المكان قد أصبح حافلا بالشخصيات البارزة، وأتوقع أن نرى نبذة عن ذلك في الصحف عما قريب، فهناك حسان المجتمع، والمؤلفون المشهورون، والمؤلفات أيضًا.. وتوقفت لحظة لتطلق ضحكة تواضع مصطنع، فشعر "بوارو" بأن ابنتها التي كانت تجلس في مواجهته قطبت جبينها استنكارا، ولكنه تعمد الا يرفع عينيه إليها حتى لا يحرجها ويزيدها خجلا، وقال للأم:

– هل تنتظرين رواية عما قريب يا سيدتي؟ وكأنه كان يسأل هل تنتظر مولودا جديدا، ولكن المؤلفة لم تتنبه لذلك التهكم الخفي وانطلقت تقول:

– الواقع أنني أصبحت أستمتع بالكسل في المدة الأخيرة، مع أنني يجب أن أسرع وأجد في العمل، فجمهوري قد نفد صبره، وناشري المسكين يستعجلني في كل بريد، وبالبرقيات أحيانا. وشعر "بوارو" بأن الفتاة قد تجهمت مرة أخرى، أما الأم فمضت تقول:

– لست أكتمك يا سيد "بوارو" أنني هنا في الوقت الحاضر كي أستوحي معاني جديدة ستظهر في روايتي الجديدة.. إن عنوانها "ثلج على وجه الصحراء"، وهو عنوان قوي يا سيد "بوارو"، ومثير.. ثلج يا سيد "بوارو" على وجه الصحراء ياسيد "بوارو".. يذوب عندما تهب عليه أول نسمة لافحة من نسمات العاطفة المتأججة!

وعندئذ نهضت "روزالي" وغمغمت كلمات غير مفهومة على سبيل الاعتذار، ثم انطلقت حتى اختفت في الحديقة المظلمة، أما الأم فراحت تسوي طيات

العمامة المتكررة بيديها، وهي تقول:

– القوة لابد منها.. لحم قوي، هذه هي كتبي، أجساد قوية تفيض بالقوة والحيوية.. صحيح أن المكتبات العامة والمدرسية تقاطعها لأنها روايات حافلة بالمسائل الجنسية، لكن لا بأس! إنني أقول الحق.. الجنس يا سيد "بوارو" هو عمود الحياة، فلماذا يتنكر له الناس ويخشون مواجهته؟ هل قرأت كتبي يا سيد "بوارو"؟

– وا أسفاه يا سيدتي! إن عملي كما تعلمين لا يدع لي وقتا.

– لابد إذن من أن أعطيك نسخة من روايتي "تحت شجرة التين"، وإني واثقة كل الثقة بأنك ستجدها ذات مغزى عظيم.. إنها واقعية.

– هذا تلطف عظيم منك يا سيدتي.. وسأقرؤها بكل لذة.

– أظن أنه يجب أن أذهب الآن وأحضر لك النسخة.

– لا تجشمي نفسك هذا العناء.. فيما بعد.

– لا عناء مطلقًا.. إني مشتاقة إلى أن أريك...

– إلى أين يا أماه؟ وكانت "روزالي" قد عادت في هذه اللحظة، فوجدت أمها تهم بالنهوض.

– لا شيء يا عزيزتي.. كنت ذاهبة لإحضار نسخة للسيد "بوارو".

– "تحت شجرة التين"؟ سأحضرها أنا.

– إنك لا تعرفين مكانها يا عزيزتي.. سأذهب أنا.

– بل أعرف! وبسرعة فائقة! انطلقت الفتاة إلى داخل الفندق وأشار "بوارو" إلى أحد السقاة، ثم سأل السيدة "أوثر بورن":

– ألك في كأس من الشراب يا سيدتي؟ فهزت رأسها بحدة وقالت:

– كلا كلا.. إني من أنصار تحريم المسْكرات، ولعلك لاحظت أنني لا أتناول شيئا على المائدة سوى الماء أو عصير الليمون، فإني لا أطيق رائحة المسْكرات، فلا بأس بكأس من عصير الليمون.

أما "بوارو" فطلب لنفسه كاسا من الشراب، وأقبلت عندئذ "روزالي" وفي يدها الكتاب، فكتبت عليه السيدة "أوثربورن" إهداء، ثم أعطته إياه، فإذا على الغلاف الملون صورة سيدة معقوصة الشعر على آخر طراز، قرمزية الأظافر، جالسة على جلد نمر، وليس عليها من الثياب إلا ورقة التوت! ومن فوقها شجرة لها أوراق البلوط وثمار التفاح، ومكتوب عليها بخط كبير "تحت شجرة التين"! وتحت صورة المرأة مكتوب بخط واضح "بقلم سالومي أوثربورن" فانحنى "بوارو" وقال:

– إنه لشرف عظيم لي يا سيدتي!

وبينما هو يرفع رأسه على أثر الانحناء التقت عيناه بعيني ابنتها.. فقرأ فيهما الكثير من الألم الحبيس المتأجج، وأحضر الساقي الشراب، وساد الصمت بين الثلاثة لحظة طويلة، وهم يحدقون إلى الصخور السوداء البارزة في مجرى النيل.

*****

وفجأة تحرك الباب الكبير، فاتجهت إليه الأنظار، وإذا بفتاة سمراء في ثوب سهرة بلون النبيذ تظهر منه، وقد وقفت تتأمل الناس برهة.. ثم مشت بأناة إلى مائدة خالية، فقالت السيدة "أوثربورن" بحنق:

– يبدو أن هذه الفتاة تظن نفسها شيئا ذا بال!

ولم يجب "بوارو"؛ لأنه كان مشغولا بمراقبة الفتاة التي كانت تحملق بإصرار إلى "لينيت دويل"، وإذا بها تقوم فتجلس في الناحية الأخرى من المائدة، فغيرت الفتاة مقعدها كذلك كي تظل في مواجهة "لينيت". وهز "بوارو" رأسه مرارا.

وبعد ربع ساعة نهضت "لينيت دويل" فجاة ودخلت الفندق، فتبعها زوجها فوراً. أما "جاكلين دي بلفور"، فابتسمت وأدارت مقعدها لتستقبل صفحة النيل، ثم أشعلت سيجارة واستغرقت في تأمل مياه النهر الصغير وهي تتدفق في بهجة ولطف.

الفصل الرابع

انصرف الجميع تلك الليلة إلى مخادعهم، أما "بوارو" فبقي وحده في الشرفة يستمتع بجمال الليل، وبينما هو منصرف بخواطره وأحلامه إلى الصخور الناعمة التي تبرز من مجرى النهر، طرق سمعه صوت يقول:

– سيد "بوارو". فانتبه وقفز واقفا على قدميه، وكان الصوت الذي ناداه يدل على تربية حسنة وثقة بالنفس وشيء من الكبرياء، مع نعومة فيه وعذوبة. والتقت عيناه بعيني "لينيت دويل"، وكانت ترتدي شالا من القطيفة الثمينة الحمراء فوق ثوبها الحريري الناصع البياض، فبدت له عن قرب أجمل مما تصورها من قبل. وقالت:

– أأنت السيد "هيركيول بوارو"؟

– في خدمتك يا سيدتي.

– لعلك تعرف من أنا؟

– نعم يا سيدتي.. قد سمعت اسمك وأعرف من أنت.

– ألك يا سيد "بوارو" في التوجه معي إلى قاعة اللعب، فإنني أشتاق إلى أن أتحدث إليك.

– في خدمتك يا سيدتي.

فاقتادته إلى حجرة خالية من حجرات اللعب، وحرصت على إغلاق الباب عليهما، ثم جلسا إلى إحدى الموائد الصغيرة، وطرقت الموضوع في غير لف وبغير مقدمات قائلة:

– لقد سمعت عنك الكثير يا سيد "بوارو"، وأعلم أنك رجل عظيم البراعة فائق القدرة، واتفق في الوقت الحاضر أن أكون محتاجة بشدة إلى شخص يُسدي إليَّ يد العون، وأعتقد أنك بلا ريب ذلك الشخص.

– هذه رقة بالغة منك يا سيدتي.. ولكنك ترين أنني في إجازة، وحينما أكون في إجازة لا أرتبط بعمل مطلقًا.

– هذه مسألة يمكن تدبيرها.. فالواقع يا سيد "**بوارو**" أنني فريسة مطاردة لا تفتر، ولابد من وضع حد لها بأي ثمن! وقد كان من رأيي أن ألجأ إلى الشرطة، ولكن زوجي يعتقد أن الشرطة لا سلطان لها في هذا الموضوع.

– ربما كان على صواب.

– سأشرح لك الموضوع بإجمال حتى تحكم بنفسك، فقد كان زوجي قبل أن ألتقي به خاطبا للآنسة "**جاكلين دي بلفور**"، من أقدم صديقاتي، ثم فسخ خطبته لها، فإنهما لم يكونا متلائمين، وقد حز هذا في نفسها للأسف الشديد. وإني آسفة لما حدث لها كثيرا، ولكن هذه أمور لا يد للإنسان فيها، وقد عمدتْ إلى التهديد، ولكني لم أكترث لتهديداتها، والحقيقة أنها لم تحاول وضع تلك التهديدات موضع التنفيذ، بيد أنها اتخذت خطة غريبة جداً، هي ملاحقتنا أنا وزوجي أينما ذهبنا أو أقمنا. فرفع "**بوارو**" حاجبيه دهشة وقال:

– الواقع أنه انتقام من نوع غير مألوف!

– غير مألوف، وسخيف، ولكنه أيضًا مزعج.

– لقد قدرت ذلك.. فأنتما فيما أعتقد في شهر العسل؟

– نعم.. وقد حدثت المطاردة الأولى ونحن في "**البندقية**"، فالتقينا هناك في مطعم "**دانيلي**". واعتقدت أن المسألة محض مصادفة، وإن كانت مصادفة محرجة. ثم إذا بنا نجدها معنا على ظهر السفينة عند إبحارنا من ميناء "**برنديزي**". وقد اعتقدنا أنها ذاهبة إلى "**فلسطين**"، فنزلنا في "**الإسكندرية**" على اعتقاد أننا تركناها في السفينة، وإذا بنا حين وصلنا إلى فندق "**مينا هاوس**" بـ "**الجيزة**" نجدها جالسة على الشرفة في انتظارنا! وقد حضرنا إلى هنا بالباخرة النيلية.. الواقع أنني كنت أتوقع أن أكتشف وجودها على تلك الباخرة أيضًا، فلما

لم أجدها ظننت أنها قد أقلعت عن هذه الصبيانيات، لكن ما إن وصلنا وجدناها تكمن في هذا الفندق في انتظار وصولنا إليه!

– وأنت تخشين أن تستمر هذه الخطة؟

– نعم.. والمسألة كلها فارغة من المعنى، فإن "**جاكلين**" تزري بنفسها، ويدهشني أن يعوزها الاحترام والشعور بالكرامة إلى هذا الحد.

– هناك أوقات يا سيدتي تتوارى فيها مشاعر الاحترام والكرامة والوقار، لتخلي السبيل لعواطف أقوى وأشد.

– ربما.. ولكن بحق السماء، ماذا تأمل هي أن تكسب من وراء هذا كله؟

– ليست المسألة في جميع الأحوال مسألة مكسب وخسارة يا سيدتي.

– الحق معك! ومناقشة الدوافع خارجة عن نطاق بحثنا الآن، فالمقصود هو كيف نضع حدًّا لهذا الموقف؟

– وكيف تظنين أن ذلك مستطاع؟

– لا ريب أني لا أطيق أنا وزوجي أن نظل فريستين لهذه المضايقة المستمرة. فلابد من أن هناك نوعا من الإجراء المشروع ضد ذلك المسلك.

– هل هددتك بكلمات صريحة علنا؟ هل سبتك؟ هل حاولت الاعتداء عليك اعتداء جسمانيًّا؟

– كلا.

– إذن لا أرى لك مخرجا يا سيدتي، فإذا كان يلذ لسيدة شابة أن تسافر بوسائل معينة وتقيم في أمكنة معينة، وهي الوسائل والأمكنة التي يروقك أنت وزوجك اختيارها، فلا جناح عليها، فالهواء مشاع لجميع الناس وهي لا تتطفل على خلوتك، وإنما كل التقائها بك في الأماكن العامة.

– أتعني أنه لا فائدة من محاولة منعها من مطاردتنا؟

– لا فائدة مطلقًا فيما أرى، فالآنسة "**جاكلين دي بلفور**" تسلك في حدود حقها المشروع.

– ولكن هذا شيء لا يطاق!

– في استطاعتك أن تغادري المكان الذي لا تستريحين فيه.

– ولكنها ستتبعنا إلى المكان الجديد!

– من المحتمل جداً، فليس هناك ما يمنعها من ذلك.

– لكن لماذا نهرب نحن منها؟!

– هذا بالضبط يا سيدتي هو جوهر الموضوع.. لماذا تهربين؟وماذا يضايقك من وجودها؟

– لماذا؟!.. لقد أخبرتك بالقصة! فتراجع "بوارو" في مقعده وعقد ذراعيه فوق صدره، وقال بهدوء:

– أعيريني سمعك يا سيدتي، فسأقص عليك قصة صغيرة.. فمنذ شهر أو شهرين كنت أتعشى ذات يوم في مطعم بمدينة "لندن"، وكان إلى المائدة المجاورة رجل وفتاة، وكانا سعيدين جداً ومتحابين، وكانا يتحدثان بثقة تامة عن المستقبل، ولم أر وجه الرجل؛ لأن ظهره كان إلى جهتي، ولكنني كنت أرى وجه الفتاة، وكان وجهها ناطقا بأنها عاشقة بكل قلبها وروحها وجسدها، فلم تكن الفتاة من اللواتي يحببن حبًّا سطحيًّا يسيرا يبدلنه كلما غسلن وجوههن حين يستيقظن من النوم، بل كان واضحا لعيني أن الحب عندها هو الحياة أو هو الموت، وكانا مخطوبين، وكان حديثهما عن شهر العسل، وكيف يقضيانه في ربوع "مصر".

وانقضى الشهران لم أر فيهما وجه الفتاة، ولكنني لن أنسى ما حييت هذا الوجه، ولا يمكن ألا أتذكره إن رأيته يوما ما، وأتذكر أيضا صوت الرجل. فأين تظنين أنني رأيت وجه الفتاة وسمعت صوت الرجل بعد ذلك؟ هنا يا سيدتي في "مصر"! وكان الرجل في شهر العسل، أجل! ولكنه عسل يشترك فيه مع امرأة أخرى.

– وماذا في ذلك؟ لقد ذكرت لك هذه الوقائع بنفسي.

– الوقائع.. نعم!

– وبعد!

– كانت الفتاة ليلة المطعم قد أشارت إلى صديقة لها، وكانت تؤكد لخطيبها أن صديقتها تلك لن تخذلها، وكانت هذه الصديقة فيما أظن يا سيدتي هي أنت!

– نعم.. فقد ذكرت لك بنفسي أننا كنا صديقتين.

– وكانت لها ثقة بك؟

– نعم.. وظهر على "لينيت" التردد لأول مرة منذ بدأ الحديث، ثم قالت:

– لقد حالفها وحالف الموضوع كله سوء الطالع، ولكن هذه الأمور تقع كثيرا في الحياة يا سيد "بوارو".

– إنها تقع يا سيدتي.. فلابد من أنك قد سمعت وأنت في دور العبادة فصولا من التوراة يتلوها القسيس أو الشماس. وربما سمعت من بين تلك الفصول قصة "داود" الملك، والإشارة إلى الرجل الغني صاحب القطعان التي لا يحصيها العدد، والرجل الفقير الذي لم يكن ليملك إلا نعجة واحدة، وكيف أن الغني اشتهى لنفسه نعجة الفقير، ومد يده إليها.. هذه أشياء تقع حقيقة يا سيدتي! فاعتدلت "لينيت" في جلستها، واتقدت عيناها وهي تقول:

– إنك تعتقد أنني سرقت خطيب صديقتي، وتنظر إلى المسألة من وجهة نظر عاطفية، شأن أبناء زمنك. ولكن الحقيقة المجردة خلاف ذلك على خط مستقيم. فلست أنكر أن "جاكلين" كانت متيمة بحب "سيمون"، لكن لا أظنك قدرت أنه لم يكن متعلقا بها تعلقها به. فلما التقى بي "سيمون" أدرك أنه يحبني أنا لا "جاكلين". فماذا يصنع؟ هل كان يصطنع البطولة ويتزوج امرأة لا يحبها فيحطم ثلاثة قلوب؟ ولو أنه كان متزوجا بها فعلا حين التقى بي لكنت وافقتك على أن واجبه أن يتمسك بها، وإن كانت المسألة مع ذلك فيها نظر، فإن شقاء أحد الزوجين يشقي الزوج الآخر. فما بالك والخطبة ليست كالزواج؟ وليس للخطبة معنى إلا

أنها فرصة يراجع فيها الطرفان نفسيهما، حتى إذا تبين لهما خطؤهما أصلحاه قبل أن يفوت الآوان فيندما حيث لا ينفع الندم، وأعترف بأن زواجنا وقع على "**جاكلين**" وقعا أليما، وأني آسفة كل الأسف. ولكن لا حيلة لي، فقد كان الذي حدث أمرا مقضيا لا مناص منه.

– عجبا أيما عجب! إن ما تقولينه معقول ومنطقي جداً، ولكنه لا يفسر لي مسلكك أنت يا سيدتي.. فإن مطاردتها قد تضايقك، أو تثير في نفسك الرثاء لهذه المسكينة التي أفقدتها الضربة اتزانها، ولكنك لم تشعري بالحرج ولا بالرثاء، بل ثرت وشعرت بأن الموقف لا يطاق. فلماذا؟ ليس لذلك إلا تعليل واحد، هو الشعور بأنك مذنبة حقًّا!

– كيف تجسر على ذلك؟!

– بل أجسر يا سيدتي ثم أجسر، وسأتحدث إليك في صراحة تامة.. إن الحقيقة التي تعلمينها ولا يمكن أن تبعدي نفسك عنها، هي أنك اختلست خطيب صديقتك اختلاسا مدبرا متعمدا، وأعتقد أنك شعرت نحوه بانجذاب قوي أول وهلة، وأنك ترددت، ثم اخترت طريقك بمحض إرادتك، وكان الاختيار بيدك أكثر مما كان بيد السيد "**دويل**".. فأنت جميلة يا سيدتي وغنية وذكية. وقد استخدمت سحرك حيث كان في استطاعتك ألا تستخدميه، فعمدت إلى أسره بفتنتك عمداً ومع سبق الإصرار، وكانت الدنيا أمامك واسعة تملكين الاختيار من بين مئات الشبان، أما صديقتك فلم يكن لها إلا ذلك الرجل، وكنت تعلمين هذا، وكان في استطاعتك أن تقبضي يدك، ولكنك مددتها، كما مد الرجل الغني يده إلى نعجة جاره الفقير! وساد الصمت لحظة، ووجدت "**لينيت**" صعوبة في التغلب على انفعالها، إلى أن قالت بصوت فاتر:

– كل هذا خارج عن الموضوع.

– كلا، بل هذا هو لباب الموضوع، فهو تفسير انزعاجك الشديد كلما فوجئت

برؤية الآنسة "دي بلفور"، فأنت مقتنعة في أعماق سريرتك بأنها على حق.. ولا تؤاخذيني على هذه الصراحة، فإن علم النفس لا يأبه كثيرا إلا للوقائع المجردة.

– وبفرض أن ما تقوله صحيح –وإن كنت لا أعترف بذلك –فما العمل يا سيد "بوارو"؟

– إن عقلك المرتب يفتيك بأن ما فات مات، وأن ما كتب قد كتب، فلابد من الاعتراف بالأمر الواقع، لكن لا حيلة لك في تغيير الوضع، إلا التجلد والصبر!

– ألا تتكرم بالتحدث إلى "جاكلين"، لعلك تقنعها بالإقلاع عن هذه الخطة؟

– ربما فعلت ذلك.. لكن لا تنتظري له ثمرة ترضيك، فإن "جاكلين" فريسة فيما أعتقد لفكرة لن تتحول عنها.

– أتعتقد إذن أنه لا فائدة؟

– في استطاعتك أن تعودي مع زوجك إلى "إنجلترا" فتقيما في قصركما الريفي، قصر "وود".

– أظنها تتبعنا إلى هناك وتقيم في القرية، بحيث أراها كلما خرجت من أسوار الحديقة، ثم إنني لا أظن "سيمون" يوافق على الهروب والتراجع.

– وما موقفه؟

– إنه غاضب إلى حد الثورة. فهز "بوارو" رأسه شأن من يفكر، وقالت "لينيت" برجاء:

– هل ستخاطبها في الأمر؟

– نعم سأخاطبها، وإن كنت ضعيف الأمل في النجاح، وهل لي أن أعرف شيئا عن التهديدات التي هددتك بها؟

– لقد هددت بقتلنا نحن الاثنين، أنا و "سيمون". فظهر الاهتمام على وجه "بوارو" وهز رأسه مليًّا، فقالت له "لينيت" بلهجة لا تخلو من الضراعة:

– هل تعمل لحسابي يا سيد "بوارو"؟ فقال لها بلهجة حازمة:

– كلا يا سيدتي.. أنا لا أقبل العمل لحسابك، وإن كنت سأفعل ما بوسعي بدافع من الشعور الإنساني، وسأبذل كل ما في جهدي لفض النزاع، ولكني لست شديد التفاؤل ولا وطيد الأمل في النجاح.

الفصل الخامس

وجد "**هيركيول بوارو**" "**جاكلين دي بلفور**" جالسة فوق الصخور المطلة على مجرى النيل. وكان واثقًا بأنها لم تأو إلى فراشها بعد في تلك الليلة، وقد صدقت فراسته. فاقترب منها وألفاها تعتمد بذقنها على راحتي يديها وهي تحدق إلى المياه الجارية، ولم ترفع رأسها لتنظر مَن القادم، فوقف إلى جوارها وقال:

– أتسمح الآنسة "**دي بلفور**" أن أتحدث إليها لحظة؟ فرفعت إليه بصرها وبدت على شفتيها ظلال ابتسامة باهتة، ثم قالت:

– لا ريب.. أنت السيد "**هيركيول بوارو**" فيما أعتقد.. وهل تسمح لي بالتخمين في أمر صغير قبل أن تبدأ الحديث؟

– نعم.

– إنك تعمل لحساب السيدة "**دويل**" التي وعدتك بمكافأة ضخمة إن أنت نجحت في مهمتك التي كلفتك بها. فجلس "**بوارو**" إلى جوارها، وقال باسما:

– إن تخمينك صائب في جزء منه. فإنني قادم الآن من اجتماع عقد بيني وبين "**لينيت**"، ولكني لم أقبل منها أي أتعاب لأنني رفضت أن أعمل لحسابها.. هل سبق لك أن رأيتني يا آنسة؟

– كلا.. لا أظن ذلك.

– أما أنا فسبق لي أن رأيتك.. فقد كنت أجلس إلى المائدة المجاورة لمائدتك في مطعم "عند عمتي"، وكنت أنت ليلتئذ في صحبة "**سيمون دويل**". فبدا على

وجهها تغير، وقالت بصوت أجش:

– نعم أذكر تلك الليلة!

– ومنذ تلك الليلة حدثت أمور كثيرة يا آنسة، وإنني أتحدث إليك الآن حديث صديق؛ إذ أقول لك: "ادفني الماضي، فإن ما فات مات".

– هذا حل يوافق "لينيت" ويريحها!

– لست أفكر فيها الآن، بل فيك أنت، فقد تعذبت كثيرا، وإني أدرك هذا وأقدره تمام التقدير، ولكن خطتك الحاضرة من شأنها أن تزيد عليك المتاعب.

– أنت واهم، فإنني أستمتع بانتقامي.

– إن عقلك جدير بأن يدلك على الخير، وأنت في مقتبل العمر، والحياة فسيحة أمامك.

– إنك لا تعرف الحقيقة.. "سيمون" هو حياتي كلها، فلا سبيل إلى التخلي عنه، وقد كنت أحب "لينيت" وأثق بها، ولكنها خانتني في قلبي وتركت حياتي فارغة.

– ولماذا سمح لها بأن تستولي عليه؟

– لا تصدق أنه تزوجها طمعا في مالها، كلا.. ما كان ليفعل هذا، وإنما هو فتى يعشق الترف والوجاهة ويحب الظهور، والمال هو الوسيلة إلى هذا كله، والجو الذي يحيط بـ "لينيت" جو ساحر؛ لأنه يشبه الجو الذي يحيط بالملكات المتوجات، وقد أزاغ بصره أن يرى المرأة التي تترامى "بريطانيا" تحت قدميها تعزف عن كل شيء لتختاره هو، وقد كنت أنا القمر، ولكنها كانت الشمس، فلما أشرقت الشمس لم يعد للقمر أثر. وبحركة سريعة دست يدها في حقيبة حريرية صغيرة وأخرجت مسدسا صغيرا مرصّعًا باللآلئ، وقالت:

– إنه يبدو شيئا جميلا لطيفا، ولكن ثق بأن رصاصة واحدة من رصاصاته الصغيرة تكفي لقتل رجل أو قتل امرأة، وأنا بهذه المناسبة بارعة في إصابة الهدف،

فعندما كنت طفلة أمرح في كنف والدتي في ولاية "كارولينا" الجنوبية، كان جدي لوالدتي يعلمني الرماية؛ لأنه كان من رجال المدرسة القديمة الذين يؤمنون بلغة الرصاص في غسل الإهانات، وكذلك كان أبي، فقد اشترك في مبارزات كثيرة وهو شاب، وكان من أبرع اللاعبين بالسيف. وركزت عينيها في عينيه، ثم استطردت:

– هأنتذا يا سيد "بوارو" ترى أن الدماء الحارة تجري في شراييني، وقد اشتريت هذا المسدس عندما اكتشفت الحقيقة، فقد كان في نيتي أن أقتل أحدهما، وكان المانع الوحيد أنني كنت مترددة أيهما أقتل، وكنت أعتقد أن "لينيت" ستفزع من التهديد، ولكنها تتمتع في الحقيقة بشجاعة كبيرة، ثم خطر لي أن أطيل عذابها بملاحقتها أينما ذهبت، فإنها على شجاعتها المادية لا تملك الشجاعة الأدبية. وظهوري لها كلما اختليا في مكان سحيق كاف لإفساد صفو السعادة عليها، وقد نجحت هذه الخطة، وبدأت ألتذ بطعم ذلك الانتقام، فهي لا تستطيع أن تأخذ عليَّ شيئا؛ لأنني أثيرها دائما بفرط أدبي ولياقتي ومجاملتي.. إنه السم في العسل. فقبض "بوارو" على ذراعها وقال لها بحدة:

– أرجو منك يا آنسة ألا تسترسلي في هذه الخطة وألا تفتحي قلبك للشر.. فإنك إن فعلت لبى الشر دعوتك ودخل قلبك، وإذا دخل الشر قلبا فإنه لا يفارقه بعد ذلك أبدا.. أوقفي نفسك، فلا أحد –حتى ولا أنا –يستطيع أن يوقفك.

– لن تستطيع أن توقفني، ولو كنت مقدمة على قتلها.

– نعم، ما دمت على استعداد لأداء الثمن.

– هاها! لست أخشى الموت! فماذا هناك حتى أعيش له؟ أم تراك من الذين يؤمنون بخطإ القتل انتقاما من شخص سلبك كل ما لك في الحياة الدنيا؟

– نعم يا آنسة، أعتقد أن القتل جريمة لا تغتفر. فضحكت "جاكلين" وقالت:

– إذن ينبغي لك أن تقر وسيلتي الحالية في الانتقام، فإنني لا ألجأ إلى المسدس

مادامت هذه الوسيلة تؤتي ثمارها، ولكني لا أكتمك أنني أخاف من نفسي أحيانا حين تثور الدماء في عروقي وتطغى عليّ رغبة جبارة في إيذائها، فأضع هذا المسدس، بل أغرسه غرسا في رأسها ثم أضغط بإصبعي على الزناد، وينتهي كل شيء! وفجأة تغير صوتها وصاحت كالمذعورة:

– أوه!

– ماذا يا آنسة؟ وكانت قد أدارت رأسها وراحت تحدق إلى الظلام.

– شخص كان يقف هناك في الظلام بين الأشجار وقد انصرف الآن. وتلفت "بوارو" فلم تأخذ عيناه شيئا.

الفصل السادس

وفي الصباح التالي، بينما كان "بوارو" خارجا من الفندق ليتمشى في المدينة.. لحق به "سيمون دويل" واستأذنه في أن يمشي معه. فلما دخلا الحديقة الظليلة أخرج "سيمون" غليونه من فمه، وقال مفتتحا الحديث:

– لقد علمت يا سيد "بوارو" أن زوجتي كان لها معك بالأمس حديث، وقد سرني أنك بينت لها أن لاحيلة لنا في تغيير الوضع القائم.. فهذه وجهة نظري.

– ليس هناك إجراء قانوني ناجح.

– بالضبط، ويبدو أن "لينيت" لم تكن لتدرك هذه الحقيقة، فقد نشأت على أن كل شيء في الحياة يجب أن يسير وفق هواها، وأن كل شيء يجب أن يتلاشى بمجرد تبليغ الشرطة، ولكن العجيب أن يظن الناس بـ "لينيت" الظنون في مسألة زواجنا، فإن كان هناك ذنب فهو ذنبي، وإذا فسر الناس موقفي بأنه نذالة فهم ورأيهم. وطأطأ "بوارو" رأسه ولم ينطق، فاستطرد "سيمون":

– هل تحدثت إلى الآنسة "بلفور"؟

- نعم.

- وهل وصلت إلى شيء؟

- أحسب أنني لم أستطع.

- ألم تتبين أنها تسيء إلى نفسها وتحط من قدرها بذلك المسلك الذي ينافي الآداب والكرامة واحترام الذات؟

- إنه الانتقام.

- الواقع أنها أتلفت أعصاب "لينيت"، وكم أتمنى أن أدق عنقها.

- هل تبخر إذن كل ما كان لها لديك من حب؟!

- يا عزيزي "بوارو"، لست أجد تشبيها يصور لك الموقف سوى تشبيه القمر والشمس، فإنك عندما تطلع الشمس لا يمكن أن تشعر بوجود القمر، وكذلك بمجرد أن التقيت بـ "لينيت"، تلاشت "جاكلين" من الوجود، بالنسبة إليّ على الأقل.

- تشبيهك يثير اهتمامي أيها السيد.

- وقد يجمل بي أن أقول لك -ولكنها الحقيقة- إن "جاكلين" كانت تحبني أكثر مما يجب.. كانت تشعر بأنها تمتلكني امتلاكا تامًا. والحقيقة يا سيد "بوارو" أنه ما من رجل يحب أن يشعر بأنه مملوك، أو يستريح إلى ذلك، ولهذا أردت أن أتحرر.

وخانه صوته فتوقف عن الكلام، وكانت أصابعه ترتعد وهو يشعل غليونه، فسأله "بوارو":

- أتدري أنها تحمل مسدسًا؟

- لا أعتقد أنها ستستخدمه.. فلو كانت تنوي ذلك لأقدمت على استخدامه من قبل، أعني قبل أن يتم الزواج، واعتقادي الآن أنها تريد مجرد إزعاجنا وتسميم سعادتنا.

- ربما كنت على حق.

– إن كل خوفي على أعصاب "**لينيت**" لا على حياتها، وإليك الخطة التي فكرت فيها، فربما كان لديك مشورة أو تعديلات أدخلها عليها قبل أن أضعها موضع التنفيذ، وقد أعلنت بصوت مسموع أننا ننوي البقاء هنا عشرة أيام أخرى، ولكن الواقع أن الباخرة "**الكرنك**" ستقوم غداً من الشلال ووجهتها وادي "**حلفا**"، وقد اعتزمت أن أحجز لنا مكانين باسم مستعار، وفي صباح غد سأذهب مع "**لينيت**" إلى جزيرة "**فيلة**" وفي هذه الأثناء ستمضى وصيفة "**لينيت**" بحقائبنا إلى الباخرة، ثم نلحق نحن بالباخرة في الشلال. فعندما تتبين "**جاكلين**" أننا لم نعد في الجزيرة، ستكون الباخرة "**الكرنك**" قد أقلعت، وفي نيتنا أن نتوجه من هناك إلى "**الخرطوم**"، وبعد ذلك إلى بلاد أخرى لا تهتدي إليها؛ لأننا سنسافر باسم مستعار، فلن يفيدها شيئا الرجوع إلى مكاتب السياحة وسجلاتها.

– لا تنس يا سيد "**دويل**" أن مقدرتها المالية محدودة، وأني لأعجب كيف استطاعت أن تلاحقكما حتى الآن. فبدا التردد على وجه "**سيمون**"، وقال:

– أعتقد أنها تملك ريعا سنويًا يقرب من مائتي جنيه، ويخيل إليَّ أنها باعت ذلك الريع بمبلغ متجمد كي تنفق على هذه الرحلات الباهظة التكاليف، ولذلك لا يبعد أن تنفد مواردها بعد حين، فتكف مرغمة عن ملاحقتنا.

– إن خطتك تبدو محكمة، ولكن تذكر أن "**جاكلين**" ذكية، وليس من السهل مراوغتها، وأنا شخصيًا مشترك في رحلة "**الكرنك**" إلى وادي "**حلفا**".

– ما أبدع هذا.

– ومن الشخص الطويل، ذلك الأمريكي الوجيه؟

– أتعني السيد "**بننجتون**"؟ إنه الوصي الأمريكي على تركة "**لينيت**"، وإنها لمصادفة مزعجة أن يكون معنا في رحلة شهر العسل، ولكنها مجرد مصادفة!

– أحقًا؟ أتسمح لي بسؤال؟ هل بلغت زوجتك سن الرشد؟

– إنها لم تبلغه بعد.. وقد كان زواجها مفاجأة تامة للسيد "**بننجتون**، فقد

غادر "**نيويورك**" بالباخرة "**كارمانك**" قبل وصول خطاب "**لينيت**" الذي يخطره بزواجها بيومين. ولهذا كان خالي الذهن تماما عندما التقى بنا.

- يا لها حقًّا من مصادفة!

- وقد تجلدنا عندما وجدناه مشتركا في الرحلة النيلية إلى "**أسوان**" ثم إلى وادي "**حلفا**"، ولكن صحبته لم تخل من فائدة، فأعصاب "**لينيت**" كانت متوترة لتوقعها أن ترى "**جاكلين**" في أي لحظة، وفي خلوتنا معا كانت "**جاكلين**" موضوع حديثنا الوحيد، أما وهناك طرف ثالث هو "**بننجتون**"، فالموضوع يظل بعيدا عن ذهننا.

- أتسمح لي بسؤال آخر؟ أكانت رحلة شهر العسل في "**مصر**" من اقتراحك أنت؟ فاحمر وجه "**سيمون**"، وقال:

- الحقيقة أنني كنت أفضل التوجه إلى أي مكان آخر، ولكن "**لينيت**" أصرت، وإزاء ذلك... ثم لم يتم جملته، وظهر عليه الارتباك. فهز "**بوارو**" رأسه؛ لأنه أدرك أن "**لينيت دويل**" هي صاحبة الكلمة العليا، ومادامت تريد شيئا فلابد لزوجها من الإذعان. وقال "**هيركيول بوارو**" في نفسه:

" لقد سمعت الآن ثلاث روايات متفرقة عن الموضوع: الرواية الأولى بلسان "**لينيت دويل**"، والثانية بلسان "**جاكلين دي بلفور**"، والثالثة بلسان "**سيمون دويل**". فأي الروايات الثلاث أصدق؟".

الفصل السابع

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، ركب "**سيمون**" و "**لينيت**" القارب الشراعي الجميل من مرسى فندق "**كتراكت**" إلى جزيرة "**فيلة**"، لزيارة معبد "**بطليموس**" المشهور. وكانت "**جاكلين دي بلفور**" جالسة في شرفة الفندق

ترقب إقلاعهما، ولكن الذي لم يتيسر لها رؤيته هو قيام السيارة من الباب الأمامي للفندق محملة بحقائب العروسين ومع الحقائب الخادمة الفرنسية "**لويز بورجيه**"، وصيفة "**لينيت**" الخاصة. وقد اتجهت السيارة إلى اليمين، ميممة شطر الشلال.

وكان "**هيركيول بوارو**" قد اعتزم أن يمضي الساعتين الباقيتين قبل قيام الباخرة "**الكرنك**" في تفقد الجزيرة المواجهة للفندق، فركب قاربا من قوارب الفندق البيضاء، فوجد فيه رجلين، أحدهما شاب وصل في اليوم السابق بالقطار، وهو طويل القامة أسود الشعر بارز الذقن نحيل الوجه يرتدي بنطلونا من قماش الفانلة الرمادي من أقذر ما رأته العين، وقميصا ممزقا. أما الرجل الآخر فكان كهلا أنيقا لم يُضع الوقت سدى في القارب بل شرع يتحدث إلى "**بوارو**" بإنجليزية ركيكة، في حين انصرف الشاب عنهما واهتم بمراقبة النوتي. فلما رسا القارب أمام الجزيرة اتجه "**بوارو**" وصاحبه إلى متحفها مباشرة. وأبرز الرجل الكهل بطاقة قدمها إلى "**بوارو**" مكتوب فوقها (السيد "**جويدو ريشتي**" -أثري) فقدم إليه "**بوارو**" بطاقته وبذلك تم التعارف، وانتقل الحديث من الإنجليزية إلى الفرنسية. وكان الإيطالي شديد الاهتمام بالأطلال والتحف، أما الشاب فلم يطق البقاء داخل المتحف، فخرج إلى الهواء الطلق، وأما "**بوارو**" فلمح بعد قليل مكانا ظليلا بجانب صخرة فاتجه إليه، فوجد السيدة "**آلرتون**" جالسة هناك وبين يديها كراسة رسم. وكان يستلطفها كثيرا فجلس يجاذبها أطراف الحديث، وعرف منها انها مشتركة وولدها "**تيم**" في الرحلة النيلية، ودعته إلى مشاركتهما مائدة الطعام في أثناء الرحلة فقبل مسرورا. وبعد قليل نهضا إلى القارب ليعودا إلى الفندق، فإذا بالشاب القذر الثياب مشتبكا مع الإيطالي في مناقشة حامية حول قيمة الآثار المصرية، وغير المصرية أيضا. وقد ظهر من ذلك الحديث بوضوح أن الفتى يدعى "**فرجيسون**" وأنه يساري متطرف، لا يؤمن بالتاريخ ولا بالماضي ولا بالفنون. وإنما كل همه أن تمتلئ كل البطون، وعلى الدنيا بعد ذلك العفاء.

وقد استمرت تلك المناقشة إلى أن وصل القارب إلى الفندق، وفي البهو التقى "**بوارو**" بـ "**جاكلين دي بلفور**"، وكانت مرتدية ملابس الركوب، فانحنت له في شيء من السخرية انحناءة يسيرة، وقالت:

– إني ذاهبة لركوب الحمير، فهل تشير عليّ بزيارة القرى المجاورة يا سيد "**بوارو**"؟

– ولم لا؟ إنها ذات مناظر جميلة.

وأسرعت خارجة. أما هو فاتجه إلى حجرته حيث أتم حزم حقائبه، ثم هبط إلى قاعة الطعام حيث تناول وجبة الغداء. وبعد ذلك تولت سيارة الفندق نقل المشتركين في رحلة وادي "**حلفا**" إلى محطة السكة الحديدية كي يلحقوا بقطار الساعة الثانية القادم من "**القاهرة**"، ليقلهم إلى محطة الشلال، وهي مسافة يقطعها القطار السريع في عشر دقائق.

أما السيدة "**أوثربورن**" وابنتها "**روزالي**"، فكانتا قد رحلتا منذ الصباح إلى الخزان وجزيرة "**فيلة**"، وقد اعتزمتا أن تتجها من هناك مباشرة إلى الشلال. وتأخر وصول القطار نحو عشرين دقيقة –كما هي العادة– واحتل "**بوارو**" مقصورة مع السيدة "**آلرتون**" وابنها، والعانس الأمريكية "**فان شويلر**"، وهي عجوز مغضنة الوجه متحلية بقنطار من الجواهر الثمينة، وترتدي ثياب القرن الماضي ذات الياقة العالية المنشاة، وكانت تنظر من قمة هذه الياقة الصلبة إلى الناس كافة نظرات الامتعاض والاستعلاء، وكانت أمامها امرأة دون الثلاثين، ممتلئة، عسلية العينين، تنظر إليها كما ينظر الكلب الوديع الذكي الحسن النشأة! وكانت العجوز قد حملت مجلة أمريكية تخفي بها وجهها، ولكنها كانت تطل من ورائها بين دقيقة وأخرى لتلقي إلى مرافقتها أمرا لا لزوم له في الواقع! وكانت تناديها باسم "**كورنيليا**".

وبعد عشر دقائق، وصل القطار إلى مرسى الباخرة النيلية "**الكرنك**". وكانت

السيدة "**أوثربورن**" وابنتها موجودتين على ظهرها، فركب سائر المسافرين، ودلهم الخدم على أماكنهم وكبائنهم، وكانت مقدمة السطح العلوي للباخرة عبارة عن صالون للمراقبة، جدرانه كلها من الزجاج، يستطيع الركاب الجالسون فيه أن يشاهدوا انسياب النهر أمام أعينهم. وفي السطح السفلي كانت توجد حجرة التدخين وقاعة صغيرة للاستقبال والجلوس، وأسفلها قاعة المائدة.

فلما رتب "**بوارو**" حقائبه في كبينته صعد إلى السطح العلوي ليشاهد إقلاع الباخرة، ووقف إلى جوار "**روزالي أوثربورن**" التي كانت متكئة على الحاجز الحديدي، وكان الضيق الشديد ظاهرا على وجهها. وفجأة لمعت عيناها، وقالت:

– عجبًا.. هذه السيدة "**لينيت دويل**" وزوجها! لم يخطر لي مطلقًا أنهما قادمان معنا في هذه الرحلة! فقد صرحا أنهما باقيان في "**أسوان**". وكانت "**لينيت**" قد برزت في هذه اللحظة من باطن السفينة، ومن ورائها زوجها. وكان وجهها يفيض بالبشر والسعادة، وكان "**سيمون**" أيضًا يضحك ملء شدقيه، كأنه تلميذ أبله أفلت من سور المدرسة.

ووقف الزوجان ينظران إلى مراسي الباخرة وهي تُرفع، ثم إلى زبد الماء الذي أثارته محركاتها وقد بدأت في الدوران، وهمس "**سيمون**" في أذن زوجته:

– ها نحن أخيرا قد ابتعدنا يا "**لينيت**". وارتفع من خلفهما صوت ضحكة ناعمة فضية النغمات، فالتفتت "**لينيت**" بسرعة لترى نفسها وجها لوجه أمام "**جاكلين دي بلفور**" التي بادرتها بقولها:

– مرحبًا "**لينيت**"! لم أكن لأقدر أن أجدك هنا. فقد خيل إليَّ أنني سمعتك تقولين إنك باقية في "**أسوان**" عشرة أيام أخرى، فيالها حقًّا من مفاجأة!

– وأنا أيضا لم أكن لأتوقع أن أراك!

– أحقًّا؟! ثم ابتعدت "**جاكلين**" إلى الجانب الآخر من الباخرة، في حين تعلقت "**لينيت**" بذراع زوجها في عصبية ظاهرة.. أما هو، فوقف محملقًا وقد تقلصت

أصابعه كمن يبذل جهداً عنيفًا في مغالبة غضبه.

وبعد بضع ساعات، كان "بوارو" في صالون المراقبة يتأمل مناظر بلاد النوبة، حين دخلت "لينيت دويل" فوقفت بجواره، وهي تثني أصابعها وتبسطها في اضطراب شديد، ثم قالت بلهجة الطفل الضال المشدوه:

- يا سيد "بوارو" ! إني خائفة، خائفة من كل شيء، لم أشعر بمثل هذا الشعور قط من قبل، وهذه الصخور القاحلة من حولنا تزيد نفسي انقباضا ووحشة.. إلى أين نحن مساقون؟ إني خائفة.. كل إنسان هنا يكرهني.. الجميع يكرهونني ما عدا "سيمون".. ما أفظع هذا!!

- ماذا حدث يا سيدتي؟

- عفوك.. أظنه انهياراً عصبيًّا، فإني أشعر بأن كل ما حولي مخيف.. ترى ما نهاية كل هذا؟ نحن هنا في فخ، ولا مخرج لنا، إني لم أعد أعرف أين أنا، وإلى أين أنا ذاهبة. وارتمت فوق مقعد، وظل السيد "بوارو" واقفا ينظر إليها نظرة لا تخلو من رثاء وإشفاق.. فلما التقطت أنفاسها قالت:

- ترى كيف عرفت أننا مسافران بهذه السفينة؟ كيف أمكنها أن تعرف ذلك؟

- إن لها عقلا ذكيًّا كما تعلمين.

- أشعر بأنني لن أفلت من يدها.

- كان هناك حل لست أدري لماذا لم يخطر ببالك، فإن المال ليس هو العقبة التي تقف في طريقك ياسيدتي.

- ماذا تعني؟

- لماذا لم تستأجري ذهبية خاصة لاستعمالكما الشخصي؟

- إنك لا تعلم كل ظروفي يا سيد "بوارو"، فإن "سيمون" مرهف الحس شديد التمسك بالتقاليد، ولذلك كان مصممًا على أن يتحمل نفقات شهر العسل، وقد كان مجرد الإشارة إلى الذهبية الخاصة كافيا لإثارة أعصابه من هذه الناحية

الحساسة، فاضطررت إلى ملاينته، ريثما يتسنى لي تكييفه تدريجًا.

وساد الصمت لحظة، وكأنها شعرت بالخجل من اندفاعها في ساعة ضعف، فاستأذنت في الانصراف لتبديل ملابسها.

*****

جلس "**بوارو**" إلى مائدة العشاء مع السيدة "**آلرتون**" ذات الشخصية الآسرة ونجلها "**تيم**". ولم يخف على "**بوارو**" أن الشاب لم يكن مستريحا لوجوده معهما. وجاء الساقي بزجاجة الشراب الفرنسي، شراب "**بوارو**" المعتاد، أما السيدة "**آلرتون**" فشربت ماء معدنيًا، في حين تناول "**تيم**" كأسا من الشراب القوي.

وأدرك "**بوارو**" من الحديث أن هذه الأسرة تدين بالمذهب الكاثوليكي، وأنها من تلك الأسر النبيلة العريقة التي أبت أن تساير الانقلاب الديني في عهد "**هنري الثامن**". وفي تلك الليلة، أحس "**بوارو**" برغبة شديدة في النعاس، فانصرف إلى كبينته مبكرا، وبينما هو على وشك الإغفاء ترامى إلى سمعه صوت "**سيمون دويل**" في الممر يقول لمن يحدثها:

– لابد من المضي في الطريق إلى النهاية.

وفي الصباح الباكر، وصلت الباخرة إلى مرحلتها الأولى، فكانت "**كورنيليا روبسون**" أول من نزل إلى الشاطئ، مبتهجة الوجه، وفوق رأسها قبعتها العريضة، فلما أبصرت "**بوارو**" في بدلته الحريرية البيضاء وقميصه الأحمر وربطة عنقه السوداء على طريقة الفنانين، حيته ببشاشة ومشت معه قاصدين زيارة المعبد، فوجدا أمامهما في الطريق "**روزالي أوتربورن**" تسير منفردة عابسة، ثم التقى الثلاثة بعد ذلك بالدكتور "**بسنر**" النمساوي وقد أمسك في يده نسخة ألمانية من دليل للسياحة، ليستدل منه على آثار المنطقة. ومن كثب كانت السيدة "**آلرتون**" تتحدث إلى "**جيمس فانثورب**"، أما "**بننجتون**" –الوصي الأمريكي– فكان يتأبط

ذراع "**لينيت دويل**"، والجميع يصغون بانتباه شديد إلى الشروح التي يلقيها عليهم الترجمان عن تمثال "**رمسيس**" الضخم.

وعادت الجماعة إلى الباخرة بعد جولة قصيرة، فاستأنفت مسيرها، وقد تبدلت الصخور المقفرة على الشاطئين، وحلت محلها أشجار النخيل والزراعة المتناثرة، فساعد ذلك على اختفاء الوجوم من وجوه كانت منقبضة، ولاسيما وجهي "**روزالي**" و "**لينيت**". وانتهز "**بننجتون**" الفرصة، فقال لـ "**لينيت**":

– ربما كان مما ينافي الذوق أن يتحدث المرء في شؤون الأعمال إلى سيدة في شهر العسل، ولكن هناك بعض مسائل...

– لا عليك يا عمي "**أندرو**".. فإن زواجي المفاجئ ترتب عليه بطبيعة الحال أمور عاجلة تستدعي البت.

– هو هذا فعلا، وربما احتجت في وقت ما إلى توقيعك على بضع أوراق؛ لأن توقيعي لم يعد له قيمة.

– ولماذا لا يكون هذا الوقت الآن؟ وتلفت "**بننجتون**" فوجد أن ركن صالون المراقبة الذي يجلسان فيه خال، لوجود معظم الركاب على ظهر الباخرة. ولم يكن في الصالون في ذلك الوقت إلا اليساري المتطرف "**فرجيسون**"، وكان جالسا إلى مائدة منعزلة وقد وضع ساقيه على مقعد آخر يشرب قدحا من البيرة ويصفر. وكان هناك أيضا "**بوارو**" ينظر من خلال الزجاج الأمامي إلى المنظر المترامي الآفاق، والعانس "**فان شويلر**" التي كانت جالسة في الركن تقرأ كتابا عن "**مصر**". فوجد "**بننجتون**" أن المكان مناسب، فتركها ومضى ليحضر الأوراق من كبينته، ثم عاد بعد لحظات وفي يده ملف من الأوراق المكتظة بالكتابة الدقيقة، فصاحت "**لينيت**" عندما رأتها:

– رباه! هل سأوقع على جميع هذه الأوراق؟!

– هذا مزعج بالتأكيد.. لكن أحب أن تكون أعمالك مستوفاة، فهذا أولا عقد

إيجار عمارة الشارع الخامس في "**نيويورك**"، وهذه عقود الأراضي الغربية...

وطفق يرتب الأوراق حسب أنواعها، فأخذ "**سيمون**" يتثاءب. وعندئذ دخل الصالون السيد "**فانثورب**"، فتلفت حوله ثم اختار الوقوف إلى جوار "**بوارو**" لمشاهدة المياه الزرقاء الباهتة ورمال الشاطئ الصفراء. وأشار "**بننجتون**" إلى موضع خال في الأوراق وقال:

– وقعي بإمضائك هنا.

فتناولت "**لينيت**" الوثيقة وراحت تجري عليها بعينيها بين سطورها، ثم قلبتها وراحت تقرأ من أول الصفحة الأولى، ثم بعد ذلك تناولت القلم ووقعت بإمضائها، فتناول "**بننجتون**" الوثيقة وقدم إليها غيرها. وعندئذ اتجه "**جيمس فانثورب**" نحوهم، ويبدو أن الشاطئ الذي كان إلى جهتهم كانت رماله ذات سحر خاص استرعى التفاته. وقال "**بننجتون**":

– هذا مجرد عقد إيجار لا لزوم لقراءة جميع تفاصيله، ولكن "**لينيت**" ألقت عليه نظرة، وراحت تقرأ بعناية فقال:

– هذا حشو من المصطلحات القانونية لا تتعبي رأسك يا بنتي في قراءته، وإلا استغرق ذلك وقتك حتى موعد الغداء.

– إنني دائما أقرأ كل شيء بعناية، فقد علمني أبي ذلك، وكان يقول دائما إنه ليس من المستحيل أن يكون هناك خطأ كتابي.. أليس هذا جائزا؟ فضحك "**بننجتون**" ضحكة مغتصبة، وقال "**سيمون**":

– أنا لا صبر لي على قراءة شيء، فأنا أثق بطبعي بجميع الناس، ومن عادتي أن أوقع دائما حيث يشيرون. فرمقه "**بننجتون**" بنظرة فاحصة بكثير من التأمل، وقال:

– هكذا خلقت، ولم يحدث قط أن غرر بي أحد. وفي هذه اللحظة، حدث ما أدهش الجميع.. فقد استدار "**جيمس فانثورب**" على عقبيه، ووجه الخطاب إلى

"**لينيت**" التي لم يعرفه بها أحد:

– أرجو ألا أكون متطفلا.. لكن اسمحي لي بأن أطري كفاءتك في إدارة الاعمال، فإنني قد صادفت في عملي –وأنا محام– سيدات لا يقدرن مسؤوليات الأعمال. وخيرا تصنعين ألا توقعي وثيقة إلا بعد قراءتها قراءة دقيقة. ثم انحنى لها وقد احمر وجهه خجلا، فقاومت "**لينيت**" الضحك، ثم قالت له:

– شكرا لك. أما "**بننجتون**" فتضايق، في حين ابتسم "**سيمون**"، وقالت "**لينيت**" وهي تبتسم لـ"**بننجتون**":

– الوثيقة التالية من فضلك.

– يحسن أن ترجئي الباقي إلى وقت آخر، فقد اقتربت ساعة الغداء، وبقية الأوراق ليست عاجلة.

– ليكن.. والآن هيا بنا إلى السطح. فالحر هنا شديد.

وخرج الثلاثة، فحدق "**بوارو**" إلى ظهر "**فانثورب**" ولفت نظره شدة احمرار أذنيه بسبب اندفاع دماء الخجل إليهما. ثم حول نظره إلى العانس "**فان شويلر**"، فوجدها تكاد تلتهم "**فرجيسون**" بنظراتها المفترسة لأنه كان يصفر كما يفعل السوقة. وفي هذه اللحظة دخلت "**كورنيليا**" فإذا بخالتها توبخها توبيخا شائنا؛ لأنها غابت عن عينيها، وراحت تذكرها بأنها اصطحبتها على حسابها، فيجب على الأقل أن تحظى منها بالعناية والاعتبار. ثم طلبت وضع كرسي لها على السطح كي تستنشق الهواء. فآثر "**بوارو**" أن يخرج هو أيضا إلى الهواء الطلق، وراح يتمشى عند مؤخرة الباخرة، وإذا به يكاد يصطدم بشابة سمراء، لاتينية الملامح، كانت واقفة تتحدث إلى شخص يرتدي زي المهندسين البحريين، فلما أبصراه ظهر عليهما الارتباك بدرجة لفتت نظر "**بوارو**".

*****

وفي صباح يوم الاثنين رست "**الكرنك**" أمام معبد منحوت في الصخر في وجه الجبل، وقد نحتت حوله في صخور الشاطئ الجبلي أربعة تماثيل ضخمة. وكانت البشاشة تعلو جميع الوجوه في ذلك اليوم، وقد نزلوا جميعًا لزيارة ذلك الهيكل العظيم، وهو المعروف باسم معبد "**أبي سنبل**". وراح "**بوارو**" يجاذب "**بننجتون**" أطراف الحديث، فعرف منه مبلغ صلته بجد "**لينيت**" وكيف صار من الأوصياء على تركتها. فلما وصلا إلى باب الهيكل افترقا في الزحام، وكان الترجمان يشرح بصوته الجهوري ما تقع عليه العين من تماثيل ولوحات. وبعد قليل صاح "**سيمون**":

– لقد ضقت بهذا الظلام، فهيا بنا نخرج إلى ضوء النهار.

فضحكت "**لينيت**" ولكنها أذعنت، وخرجا إلى الرمال الدافئة. ولما كانا غير راغبين في العودة مباشرة إلى الباخرة، أسندا ظهريهما إلى الجدار الصخري المرتفع الذي شادته يد الطبيعة، وحفرت فيه يد الإنسان المعبد العتيق، وراحا يستمتعان بدفء الشمس والرمال، ولم تلبث "**لينيت**" أن قالت:

– كم أشعر بالسعادة هنا، وبالأمن!

وأغمضت عينيها، كأنها نصف نائمة، أما "**سيمون**" فكان مفتوح العينين، فابصر عددا كبيرا من المسافرين يسرعون نحوهما وهم يلوحون بأيديهم في الهواء، فجعل يحملق في مبدإ الأمر بغباء وبلاهة، ثم أدرك بعد قليل ما يهدفون إليه من إشاراتهم فقفز واقفا على قدميه وجذب زوجته من ذراعها، وفي اللحظة التالية سقطت في المكان الذي كانت جالسة فيه كتلة ضخمة من الصخر انحدرت من فوق قمة الجبل، فلو أن "**لينيت**" ظلت في مكانها لسحقتها سحقا. وتعانق الزوجان وقد ابيض وجهاهما، في حين أسرع نحوهما "**بوارو**" و "**تيم آلرتون**" يهنئانهما، ثم نظر الأربعة نحو القمة فلم يبصروا شيئا، ولكن هناك طريقا متعرجا يؤدي إلى القمة من أمام مرسى الباخرة.

ولم تنطق "**لينيت**"، أما "**سيمون**" فكان وجهه ينطق بالغضب الشديد، وهتف من بين أسنانه في غيظ:

– عليها اللعنة! ثم رمق "**تيم آلرتون**" بنظرة سريعة، وقاوم غضبه حتى لا يفتضح السر لهذا الشاب الغريب. أما "**تيم**" فراح يبدي دهشته وحيرته:

– هل سقطت الصخرة بفعل فاعل، أم سقطت وحدها مصادفة؟ فتدخل "**بوارو**" إنقاذا للموقف قائلا:

– يحسن أن تسرعي بالعودة الآن إلى الباخرة، كي تتناولي شيئا يرد إليك قواك.

فأسرع الأربعة عائدين.. فلما أشرفوا على موضع الباخرة وقف "**سيمون**" مبهوتا، فقد كانت "**جاكلين دي بلفور**" تهبط السلم إلى الشاطئ مرتدية ثوبا كحلي اللون، وعلى وجهها آيات البراءة والطفولة، ولم يلبث أن صاح هامسا:

– يا إلهي! لقد كانت إذن قضاء وقدرا!

وتلاشى الغضب من وجهه وبدا عليه الارتياح، وفي هذه اللحظة التفت "**بوارو**" إلى الوراء ليرى ماذا حدث لبقية الجماعة، فأبصر "**فان شويلر**" عائدة معتمدة على ذراع ممرضتها الآنسة "**بويرز**"، ومن خلفها السيدة "**آلرتون**" والسيدة "**أوثربورن**"، وأما الباقون فلم يشهد لهم أثرا، فهز رأسه وصعد إلى سطح الباخرة.

الفصل الثامن

وصلت الباخرة إلى وادي "**حلفا**" ليلا، حتى إذا أشرق الصبح خرج ركاب "**الكرنك**" لمشاهدة الشلال الثاني على ظهور الجمال، ولكن "**بوارو**" والسيدة "**آلرتون**" آثرا السير على الأقدام، وبذلك توافرت لهما فرصة لحديث الكهول ذوي الذكاء والحكمة. ودار الحديث حول حادث اليوم السابق قرب معبد "**أبي سنبل**"، فقالت السيدة "**آلرتون**":

– لقد نجحت بأعجوبة، ولا أستبعد أن يكون بعض الأطفال النوبيين قد فعلها على سبيل العبث الصبياني البريء.

– ربما كان ذلك يا سيدتي. ثم غير موضوع الحديث، فسألها عن جزيرة "ماجور" الإسبانية، بحجة رغبته في قضاء بعض الوقت هناك. وفي هذه الأثناء كان "تيم آلرتون" منصرفا إلى مجاذبة "روزالي أوثربورن" أطراف الحديث، فقد كان معجبا بالفتاة المتحفظة إلى أقصى حدود الإعجاب. وقد جعل في حديثه يصور نفسه على أسوإ صورة، ويبين لها كيف تأبى عليه صحته الخائرة أن يعمل عملا يدر عليه المال، وكيف أن ثروته الموروثة من القلة بحيث لا تسمح له بحياة فراغ وبطالة خالية من السأم، فقالت "روزالي":

– ولكن الأقدار منحتك نعمة يتمناها الكثيرون، وأعني بذلك تلك الأم الفاضلة العطوف.

– صدقت في هذا.. فهي نسيج وحدها.

وتمنى "تيم" لو استطاع أن يرد تحيتها بمثلها، فيطري أمها كما أطرت أمه، ولكن الكلام وقف في حلقه. وأما "فان شويلر" فإنها بقيت في الباخرة لأن الرحلة مرهقة، وحبست معها ممرضتها الآنسة "بويرز"؛ لأن "كورنيليا" كانت قد أسرعت بالخروج إلى الشلال في صحبة الدكتور "بسنر" الكهل. وكانت في مبدإ الأمر تعترض على مجاذبتها ذلك الطبيب أطراف الحديث، إلى أن علمت أن له عيادة ناجحة في "فينا"، وأن له شهرة تعم بلاد "أوربا" في الأمراض العصبية، فكفت عن الاعتراض والزمجرة وصارت تهش له، ولما عاد الرفاق إلى الباخرة أطلقت "لينيت" صيحة دهشة:

– أبرقية لي؟! وأسرعت تفضها، ثم صاحت:

– لست أفهم حرفا واحدا: بطاطس وبنجر؟! ما معنى هذا يا "سيمون" بربك؟ وهَمَّ "سيمون" أن يسرع إليها، لولا أن السيد "ريشتي" الأثري الإيطالي اختطف

من يدها البرقية وهو يقول:

ــ هذه البرقية لي أنا. فأسرعت "**لينيت**" تعتذر إليه قائلة:

ــ لقد كان اسمي حتى تزوجت من مدة قريبة الآنسة "**ريدجواي**" وهو يشبه في الكتابة السريعة "**ريشتي**"، فلا تؤاخذني لهذا الخطإ، فإنني لم أقصد بالتأكيد أن أطلع على برقيتك. ولكن "**ريشتي**" أجابها بفظاظة:

ــ إن الأسماء يجب أن تقرأ دائما بعناية، والخطأ الناتج من التسرع في هذه الأحوال لا يغتفر.

فوجدت نفسها في موقف حرج، وتأبط "**سيمون**" ذراعها ونزلا إلى الشاطئ. وفي هذه اللحظة ظهر على سطح الباخرة رجل طويل القامة نحاسي اللون، كأن الأرض قد انشقت عنه، فاستقبله "**بوارو**" بالترحيب القلبي، فقد كان هذا الرجل هو العقيد "**ريسي**" صديقه القديم. وكان "**بوارو**" يعلم أن العقيد ملحق بقلم المخابرات البريطاني، وأنه يظهر دائما في أطراف الإمبراطورية في أوقات الأزمات، وعلى غير انتظار. وقال العقيد:

ــ سأركب معكم "**الكرنك**" عائدا إلى "**أسوان**".

ــ عجبا يا سيدي العقيد.. ألم يكن الأوفق أن تركب باخرة الحكومة، فهي أسرع وأوفر راحة؟ إن باخرتنا تسير نهارا وتقف ليلا، في حين تسير باخرة الحكومة ليلا ونهارا.

ــ الواقع أنني مهتم بمراقبة أحد ركاب هذه الباخرة في رحلتها.

ــ إني أعرفهم جميعا، فمن هو؟

ــ إني للأسف لا أعرفه حتى الآن.. إنه متآمر دولي ومرتكب جملة جرائم قتل، وهو واسع الحيلة في التنكر. وكل ما أعرفه عنه أنه من ركاب "**الكرنك**".

ــ يسرني كثيرا أن تصحبني، ولعلنا نصل معا إلى اكتشاف ذلك القاتل الغامض الشخصية. وبهذه المناسبة أذكر لك أن "**الكرنك**" غير خالية من جو الجريمة

والمغامرة. ثم شرع يقص على العقيد ملخصا مجملا لمشكلة "**لينيت**" وزوجها وصديقتها القديمة ووصيها الأمريكي، ثم ختم ذلك كله بحادثة الصخرة، وعقب على ذلك بقوله:

– أضرع إلى الله أن نصل إلى "**أسوان**" دون أن يحدث أمر جلل.

الفصل التاسع

في طريق العودة رست الباخرة مرة أخرى بالقرب من معبد "**أبي سنبل**"، وكان الوقت ليلا، فدبرت إدارة الباخرة زيارة للمعبد في ضوء صناعي، وبذلك اختلف الجو عن الزيارة الأولى التي كان الظلام فيها يقبض الصدور، وكان الذي يصاحب "**كورنيليا**" في هذه المرة هو الفوضوي "**فرجيسون**"، ومن العجب أن ذلك الفتى قد فتن بهذه الفتاة الطيبة البسيطة. فلما قالت له إنها كانت تود لو كان الدكتور "**بسنر**" بجوارها لينشرح لها تلك المشاهد الجميلة استاء وقال لها:

– لست أدري كيف تطيقين صحبة هذا الشيخ الممل.

– إنه من أطيب خلق الله وأرقهم قلبا وأكثرهم ثقافة.

– ثقافة؟ هذه الكلمة تقززني، وأظن أيضا أن خالتك لا تحب أن تتحدث معي، فإنها أرستقراطية متعجرفة، لا تراني ندًّا لها.

– كم أود لو أقلعت عن هذه النوبات الثورية.

– وكيف لا أثور لتلك الفروق الخرافية بين البشر؟

– بل أعتقد أن هناك آفة في معدتك تجعلك ثائر الأعصاب، حاد المزاج، سأعطيك قليلا من دواء الببسين الذي تتعاطاه خالتي "**فان شويلر**"، وعسى أن يهدئ هذا من ثورة أعصابك.

– اسمعي! أنت أحسن مخلوق بين ركاب هذه الباخرة. هذه هي الحقيقة،

فاذكريها دائمًا ولا تسمحي لخالتك أو لغير خالتك بأن ينظر إليك باستعلاء.

وأسرعت الفتاة بعد ذلك إلى الباخرة لتلحق بخالتها، فإذا بها تتحدث في صالون المراقبة إلى الدكتور "**بسنر**"، وتسأله عن مرضاه من الأمراء والكبراء. فلما وقع بصر خالتها عليها صاحت بها:

– أين شالي القطيفة؟ إنني بحثت عنه فلم أجده.

وأسرعت "**كورنيليا**" تبحث عن الشال الثمين فلم تعثر له على أثر، فقامت "**فان شويلر**" ممتعضة لتأوي مبكرا إلى مخدعها بسبب حرارة الجو. وظل "**سيمون**" و"**لينيت**" يلعبان البريدج مع "**بننجتون**"، والعقيد "**ريسي**" كان على مائدة في أحد الأركان، وأما "**بوارو**" فكان يتثاءب بشدة وهو جالس إلى مائدة صغيرة قرب الباب، بينما كان "**فانثورب**" جالسا يطالع في كتاب. وفيما عدا هؤلاء كان الصالون خاليا.

ونهض "**بوارو**" فخرج إلى سطح الباخرة، وإذا به يكاد يصطدم بـ "**جاكلين**" التي كانت مقبلة من الجهة الأخرى على عجل، فتبادلا التحية ثم استأنف سيره إلى كبينته لينام، ودخلت "**جاكلين**" الصالون.

وكانت "**كورنيليا**" قد فرغت من مصاحبة خالتها إلى مخدعها، فعادت حاملة أشغال الإبرة إلى الصالون؛ لأنها لم تكن قد شعرت بعد بالرغبة في النوم. وما إن استقرت في مجلسها حتى دخلت "**جاكلين دي بلفور**" فوقفت عند عتبة الباب وقفة التحدي، ثم ضغطت بيدها الجرس وجلست في مواجهة "**كورنيليا**"، فسألتها:

– هل زرت المعبد الليلة؟

– نعم.. فالليلة مقمرة، والمنظر رائع.

– نعم هي ليلة جميلة حقًّا. ليلة شهر العسل بمعنى الكلمة.

واتجهت نظراتها نحو مائدة البريدج، فاستقرت على "**لينيت**". وفي هذه اللحظة

جاء الخادم تلبية للجرس، فأمرته "**جاكلين**" أن يحضر لها كأسا كبيرة من الشراب القوي، فرمقها "**سيمون**" بنظرة سريعة، وظهر على وجهه شيء من القلق. ثم بدأ يشرد عن اللعب، الأمر الذي كان يضطر زوجته إلى تنبيهه من حين إلى آخر كي يلعب عند حلول دوره. وأحضر الساقي الكأس، فشربتها "**جاكلين**" جرعة واحدة وهي تقول بصوت معربد:

– في صحة الجريمة!ثم طلبت من الساقي كأسا أخرى، وراحت تغني – بصوت مرتفع – الأغنية التي مطلعها: "لقد كان رجلها، ولكنه خان عهدها.." فنهضت "**لينيت**" واقفة، وقالت:

– أشعر بالنعاس، سأذهب إلى فراشي.

وكذلك نهض إلى مخدعه كل من العقيد "**ريسي**" والسيد "**بننجتون**"، أما "**سيمون**" فأعلن أنه سيبقى قليلا حتى يتناول كأسا من الشراب، فانصرفت "**لينيت**" وحدها ومن ورائها "**ريسي**" والسيد "**بننجتون**"، وشرعت "**كورنيليا**" تجمع أشغال الإبرة كي تنصرف، ولكن "**جاكلين**" توسلت إليها أن تبقى ولا تتركها وحيدة، فأذعنت الفتاة الطيبة لرجائها. وحضرت الكأس الثانية فشربتها مرة واحدة أيضا، ثم أخذت تغني أغنيتها من جديد، فتحركت "**كورنيليا**" لتقوم محتجة بأن الوقت قد تأخر، فتشبثت بها "**جاكلين**" قائلة:

– محال أن أدعك تذهبين.. اجلسي وحدثيني عن نفسك.

– ليس هناك ما يستحق الذكر، فإني لم أفارق دارنا قبل هذه المرة، ولهذا أستمتع بكل لحظة من لحظات الرحلة.

– كلا كلا.. حدثيني عن نفسك بالتفصيل.

فاضطرت الفتاة الخجول إلى أن تبدأ في سرد تفاصيل لا لون لها ولا طعم، وكلما همت أن تكف عن الكلام استحثتها "**جاكلين**" على الكلام، وهي لا تفرغ من احتساء كأس حتى تطلب كأسا سواها، وكانت الفتاة تعجب في نفسها لذلك

السلوك، ويحدثها قلبها بأن شيئا غير عادي لابد من أن يحدث. ولم يكذبها شعورها، فإن "**جاكلين**" التفتت فجأة نحو "**سيمون دويل**" الذي كان غارقا بين دفتي مجلته وقالت له ببساطة:

- اضغط الجرس يا "**سيمون**"، فإني أريد كأسا أخرى.

- لقد شربت ما فيه الكفاية يا "**جاكلين**". وإذا بـ "**جاكلين**" تنفجر في وجهه صائحة:

- وما شأنك أنت؟ فهز كتفيه وقال بهدوء:

- لا شيء! فجعلت تحدجه بنظراتها، دقيقة أو دقيقتين، ثم قالت:

- ماذا دهاك يا "**سيمون**"؟ أخائف أنت؟ فلم يجبها، وراح يقلب صفحات المجلة بإمعان، وتململت "**كورنيليا**" في مقعدها تهم بالانصراف، فقالت "**جاكلين**":

- لا تنصرفي، فإني أحتاج إلى وجود امرأة أخرى معي هنا لتشد أزري. ثم ابتدأت تضحك بحالة عصبية، وقالت:

- أتعلمين ماذا يخشى "**سيمون**"؟ إنه يخشى بعد أن قصصت أنت قصة حياتك أن أروي لك قصة حياتي أنا، لماذا؛ لأنني كنت مخطوبة له يومًا ما.

- أحقًّا؟!

- إنها قصة محزنة جدًّا.. لقد عاملني أسوأ معاملة. أليس كذلك يا "**سيمون**"؟ فقال لها "**سيمون**" حينئذ بخشونة:

- اذهبي إلى فراشك يا "**جاكلين**"، فأنت سكرانة.

- إذا كنت محرجا يا عزيزي "**سيمون**" من سماع ماضيك فأنت مخير في مغادرة الحجرة.

- بل سأبقى.

وعندئذ أقفل "**فانشورب**" الكتاب الذى كان مستغرقا في قراءته، ثم تثاءب ونظر في ساعته ثم غادر الصالون، أما "**جاكلين**" فقد اعتدلت في مقعدها وحملقت إلى

وجه "**سيمون**" ثم صاحت بصوت غليظ:

– أتظن أيها الأحمق أنك قادر على أن تصنع بي ما صنعت ثم تمضي ناجيا آمنا؟ لقد قلت لك يومًا إنني سأقتلك ولا أتركك لامرأة أخرى، وقد حسبتني أهذي ولا أعني ما أقول، والحقيقة أنني كنت أنتظر وأتربص فأنت رجلي.. أسامع أنت؟ أنت ملك يميني.

وظل "**سيمون دويل**" لائذا بالصمت، وإذا بيد "**جاكلين**" تعبث لحظة في حجرها ثم إذا بها تبسطها أمامها وتطلق عليه الرصاص، فإذا به يصرخ صرخة مكتومة وهو يتلوى ثم يسقط على المقعد. وصرخت "**كورنيليا**" ثم أسرعت نحو الباب تنادي "**فانثورب**" الذي كان واقفا بالقرب منه منحنيا فوق سياج الباخرة. وأسرع "**فانثورب**"، في حين وقفت "**جاكلين**" كالمصعوقة فاغرة الفم، ثم أخذت ترتعد رعدة عنيفة تشملها من قمة الرأس إلى أخمصي القدمين، وقد تسمرت عيناها على البقعة القرمزية التي كانت قد انتشرت عند ساق "**سيمون**" وخضبت رجل بنطلونه في أسفل الركبة مباشرة، كما خضبت المنديل الذي كان قد ضغط به على موضع الجرح، وسقط المسدس من يدها على الأرض، فركلته بقدمها فاندفع إلى أسفل مقعد من مقاعد الصالون، في حين جعل "**سيمون**" يصيح بصوت متحشرج:

– أستحلفك يا "**فانثورب**" بحق السماء أن تكتم الخبر.. إني أسمع وقع أقدام.. قل إنها ضجة مزاح أو أي شيء.. تكتم الفضيحة.. فطمأنه "**فانثورب**"، واتجه نحو الباب الذي أطل منه الخادم النوبي وهو يفرك عينيه من أثر النعاس، وأخبره بان المسألة لا تعدو مزاحا من مزاح السكارى، فافتر ثغر الخادم النوبي عن أسنانه اللؤلؤية ثم انصرف راجعا، فقال "**فانثورب**":

– لا أظن أحدا آخر قد سمع، فالصوت ضعيف، وهو أشبه ما يكون بفرقعة سدادة زجاجة، وعلينا الآن.. وفي هذه اللحظة انطلقت "**جاكلين**" تنشج ببكاء

هستيري وهي تقول:

- آه يا ربي.. ليتني مت قبل هذا.. سأقتل نفسي.. خير لي أن أموت.. ماذا فعلت؟ فأسرعت "**كورنيليا**" نحوها تحاول تهدئتها لكيلا تفوح رائحة الفضيحة، وأما "**سيمون**" الذي كان يتلوى من الألم فجعل يقول:

- أخرجاها أرجوكما فورا.. اذهبا بها إلى مخدعها، أرجو منك يا "**كورنيليا**" أن تكلفي ممرضة خالتك بملازمتها وإعطائها عقارا مهدئا، ثم بعد ذلك استدعي الدكتور "**بسنر**" ليحاول تضميد الجرح، وسأدبر قصة أضلل بها الأمر على زوجتي، فإنها يجب ألا تعلم الحقيقة بأي ثمن.

ووافق "**فانثورب**" و "**كورنيليا**" على أن ستر الحقيقة واجب. وتعاونا معا في إخراج "**جاكلين**"، التي كانت تقاوم وتبكي وتريد أن ترتمي على الأرض تارة، وأن تفلت لتلقي بنفسها في النيل تارة أخرى وهي تصيح بصوت مختنق:

- آه يا حبيبي "**سيمون**"! لا أريد أن أعيش. فقال "**فانثورب**" لـ "**كورنيليا**":

- اذهبي أنت فايقظي الآنسة "**بويرز**" لتحضر معها حقنة مورفين أو ما أشبه، وسألازم انا الآنسة "**دي بلفور**" ريثما تأتين بها إلى مخدعها.

وانصرفت "**كورنيليا**" لتفعل ما أشار به "**فانثورب**". أما "**جاكلين**" فأجهدت "**فانثورب**" بكثرة محاولاتها الإفلات إلى سطح الباخرة لتُغرق نفسها في النيل، فظل يقاومها بكل قوته حتى كاد يصيبه الإعياء. وحمد الله حين انفرجت الستائر عن الآنستين "**بويرز**" و "**كورنيليا**"، ثم حقنتها الآنسة "**بويرز**" بحقنة المورفين. وعندئذ توجه "**فانثورب**" إلى مخدع الدكتور "**بسنر**"، فطرق الباب ثم دخل دون أن ينتظر إذنه بالدخول، فأضاء النور وبدأ يفضي إلى الطبيب -الذي يفرك عينيه من أثر النوم- بما وقع، فأسرع الرجل بارتداء الروب على عجل، ثم تناول حقيبة أدواته التي تستخدم في الإسعاف الأولي، وصحبه "**فانثورب**" إلى الصالون.

وكان "**سيمون**" قد تمكن في أثناء ذلك من فتح النافذة المجاورة لمقعده، وانكفأ

فوقها يملأ صدره من الهواء حتى لا يُغمى عليه. وكان وجهه شاحبا كوجوه الموتى، وقد تلطخ البساط ببقعة من الدم، وتلطخ كذلك منديل كبير. فشرع الطبيب في فحص الساق بدقة وعناية، ثم قال:

– إن النزف غزير، فيجب أن تساعدني يا "**فانشورب**" كي نحمله إلى كبينتي فهو لا يستطيع السير. وبينما هما يحملانه ظهرت "**كورنيليا**"، فلما رآها الطبيب انفرجت أساريره وقال لها:

– أهذا أنت؟ تعالي معنا فإنني أحتاج إلى من يساعدني في العملية، فأنتِ أصلح لهذه المهمة من صديقنا هذا الذي بدأ لونه يكفهر منذ الآن. فابتسم "**فانشورب**" ابتسامة كالحة، وقال:

– هل أدعو الآنسة "**بويرز**"؟ فالتفت الدكتور "**بسنر**" إلى "**كورنيليا**" وقال لها:

– هل تستطيعين مساعدتي دون أن يُغمى عليك أو يحدث لك شيء سخيف من هذا القبيل؟

– إنني أستطيع أن أفعل كل ما تطلبه مني.

وبذلك تحرك الموكب الرباعي مخترقًا سطح الباخرة، واستغرقت الدقائق العشر التالية جهودا جراحية، أظهر "**سيمون**" في خلالها تجلدا أثار إعجاب الطبيب النمسوي، ثم حقنه بالمورفين لينام، بعد أن طمأنه إلى أنه سيكتم السر ويزعم أن الإصابة حدثت نتيجة لانزلاق "**سيمون**"، وأنه سوف لا يزعج زوجته من نومها.

– ورجاء آخر يا دكتور.. أرجو أن تعتني أشد العناية بـ "**جاكلين**"، فإنها معذورة وأنا الذي أخطأت في حقها خطأ فاحشا، وقد كانت المسكينة في غير وعيها.

– لا تقلق واستسلم للنوم، فإن الآنسة "**بويرز**" ستلازمها طوال الليل.

– شكرا لك يا دكتور، والآن يا "**فانشورب**"...

– نعم يا "**سيمون**"؟

– المسدس من فضلك.. يجب ألا تتركه مُلقى هناك، حتى لا يعثر عليه الخدم

في الصباح وهم يقومون بالتنظيف.

– اطمئن.. سأذهب الآن وأخفيه. وانطلق "**فانثورب**"، فالتقى عند باب كبينة "**جاكلين**" بالآنسة "**بويرز**" التي قالت له:

– لقد هدأت الآن وسأبقى معها إلى الصباح؛ لأن المورفين يسبب مضاعفات لنفر من الناس. واستأنف "**فانثورب**" مسيره إلى الصالون.. وبعد ثلاث دقائق كان يطرق باب الدكتور "**بسنر**"، فلما خرج الطبيب انتحى به جانبا فوق ظهر الباخرة وهمس في أذنه:

– لم أعثر على المسدس.

– ماذا تقول؟!

– المسدس.. لقد وقع من يد الفتاة فركلته تحت مقعد أمام عيني وهي في ثورة غيظها، ولم أجده هناك وتبادل الرجلان نظرات الحيرة.

– من عساه يكون قد أخذه؟

– لا أدري، وإن هذا لعجيب. وافترق الرجلان على توجس وقلق وحيرة.

الفصل العاشر

كان "**بوارو**" يمسح الصابون عن وجهه بعد أن حلق ذقنه في صباح اليوم التالي عندما دخل عليه العقيد "**ريسي**" من دون أن ينتظر الإذن، وأقفل الباب من ورائه ليقول له:

– قتلت "**لينيت دويل**".. اخترق الرصاص رأسها الليلة الماضية.

ووجم "**بوارو**" لحظة.. فقد تذكر أن "**جاكلين**" قالت له في حديقة "**أسوان**": "كم أتمنى أن أغرس مسدسي الصغير هذا في رأسها، ثم أضغط على الزناد وينتهي كل شيء". واستطرد "**ريسي**" يقول:

– وقد عهد إليّ بالتحقيق.. إن الباخرة ستقلع بعد نصف ساعة، ومع هذا فإنها لن تقلع حتى أصدر الأمر بذلك شخصيًّا، فهناك احتمال كبير أن يكون القاتل قد تسلل من الشاطئ، وإني على كل حال أفوض إليك الأمر فانت فارس هذا المضمار، وقد تركت الدكتور "بسنر" يفحص الجثة.

وقبل "بوارو" المهمة الخطيرة بغير تردد، وكانت في الباخرة أربع كبائن فاخرة ملحق بكل منها حمام، وكان يحتل الكبينتين اللتين في جهة المرسى الدكتور "بسنر" والسيد "بننجتون"، ومن الجهة الأخرى كبينة العانس "فان شويلر" ثم كبينة "لينيت دويل" وتليها حجرة ملابس زوجها، وتوجه "بوارو" والعقيد إلى مخدع القتيلة؛ حيث كان الدكتور "بسنر" يفحص الجثة، وقد قال لهما بعد أن فرغ من الفحص:

– لقد أطلق الرصاص من مسافة قريبة جدًّا، فوق الأذن مباشرة، والرصاصة صغيرة الحجم جدًّا، إنها من عيار 22، وقد احترق الجلد حول موضع الإصابة؛ لأن فوهة المسدس كانت ملاصقة له كما كانت القتيل نائمة، فلم تحدث مقاومة. وشرع "بوارو" يفحص الحجرة والجثة بنفسه، فلاحظ فوق بياض الجدار الناصع حرف "ج" وقد كتب بمادة حمراء اللون، فانحنى فوق القتيل وتناول يدها اليمنى، فوجد أصبعًا من أصابعها مخضبة بالدم، والمفروض أن هذه الأصبع هي التي كتبت ذلك الحرف على الجدار، فصاح "بسنر" عندما لاحظ ذلك:

– هذا مستحيل.. هذا تضليل.. فإن المسكينة قد ماتت في الحال، فلا يمكن أن تكون قد فعلت ذلك.

– هذه حيلة بالتأكيد المقصود بها الإيهام بان القتيل قد تعرفت إلى شخصية القاتل، فكتبت الحرف الأول من اسمه بعد أن خضبت أصبعها بالدم النازف منها.

فقال العقيد "ريسي":

– ومن الذي يبدأ اسمه بحرف الجيم؟! أجابه "بوارو":

– "**جاكلين دي بلفور**"، خطيبة "**دويل**" السابقة، وكانت قد أطلعتني في "**أسوان**" على مسدس صغير زعمت أنها تريد أن تضعه في رأس "**لينيت دويل**" ثم تضغط على زناده.

– أليس هذا ما حدث فعلا؟

– قد يكون.. لكن خبرني يا دكتور "**بسنر**"، متى تقدر أن الوفاة قد حدثت؟

– الساعة الآن الثامنة صباحًا.. وقد حدثت الجريمة منذ ثماني ساعات أو ست ساعات على أقل تقدير.

– أي بين نصف الليل والثانية صباحًا.

– أجل. فسأل العقيد "**ريسي**":

– وأين زوجها؟ أظنه ينام في الكبينة المجاورة؟ فتولى الدكتور "**بسنر**" الجواب قائلا:

– إنه في هذه اللحظة نائم في كبينتي أنا.

ولما رأى دهشة الرجلين لم يجد بُدًا من أن يَقُصَّ عليهما ما حدث بالأمس من إطلاق "**جاكلين**" الرصاص على ساق "**سيمون**"، وإصابته بكسر في العظام، يحتاج إلى الكشف بالأشعة بمجرد العودة إلى "**أسوان**". كما ذكر لهما أن "**جاكلين**" ظلت تحت حراسة الآنسة "**بويرز**" طوال الليل. وانتقل الرجال الثلاثة بعد ذلك إلى قاعة التدخين؛ حيث أمر العقيد ربان الباخرة بأن يخصصها للتحقيق الذي سيقوم به السيد "**بوارو**".

وسأل "**بوارو**" عن الشخص الذي اكتشف الجريمة، فعلم أنها الخادمة الفرنسية الخاصة بـ "**لينيت**" –واسمها "**لويز بورجيه**" –فقد دخلت لتوقظها كما هي العادة كل صباح فوجدتها على تلك الصورة، فأسرعت بإخطار الربان، فقرر "**بوارو**" بعد ذلك أن يبدأ بتحقيق حادث إطلاق الرصاص على "**سيمون**"، وأن يستجوب "**كورنيليا**" و "**فانثورب**" اللذين شهدا تلك الواقعة. وكانت الحيرة الكبرى أن

ظروف الحادث تبعد شبهة القتل عن "**جاكلين**" و "**سيمون**" على السواء.

ودعيت "**كورنيليا**" أولاً، فذكرت الحوادث بترتيبها، واجتهد "**بوارو**" أن يعرف أزمنة الحوادث على وجه الدقة، فتبين أن "**لينيت**" دخلت كبينتها في الحادية عشرة والثلث، وأن "**بننجتون**" قد انصرف إلى مخدعه بعد ذلك بثلاث دقائق أو أربع. أما وقت إطلاق الرصاص على "**سيمون**"، فقد حدده "**فانثورب**" -إذ كان قد نظر في ساعته قبيل ذلك عندما غادر الصالون -بأنه كان بعد منتصف الليل بربع الساعة، وكان واضحًا أن أحدًا من الأشخاص الأربعة الذين كانوا في الصالون لم يغادره منذ أوت "**لينيت**" إلى مخدعها. وتأكد "**بوارو**" أيضا أنه بعد إطلاق الرصاص لم تترك "**جاكلين**" وحدها لحظة واحدة، وهذا يخرجها من جريمة القتل.

وكان "**بوارو**" حريصًا على معرفة جميع التفاصيل، ولاسيما طريقة إطلاق الرصاص ثم سقوط المسدس، والاتجاه الذي رفسته إليه الفتاة في ثورة أعصابها. وبذل عناية كبيرة في معرفة المدة التي انقضت بين خروج "**فانثورب**" و "**كورنيليا**" للمضي بـ "**جاكلين**" إلى مخدعها، وبين عودة "**فانثورب**" مصطحبًا الدكتور "**بسنر**" للعناية بـ "**سيمون**"، فثبت أن تلك المدة تصل إلى عشر دقائق، ثم ثبت أن المدة التي انقضت بين نقل "**سيمون**" إلى كبينة الطبيب وعودة "**فانثورب**" للبحث عن المسدس تزيد على خمس دقائق. وفي هذه الدقائق أخذ شخص مجهول المسدس من تحت المقعد، وكان من المستحيل أن يكون ذلك الشخص "**جاكلين**"؛ لأنها كانت محقونة بالمورفين في مخدعها تحت ملاحظة الآنسة "**بويرز**"، فمن ذلك الشخص؟!

إن لهذا السؤال أهميته الكبرى، فمن المحتمل أن يكون ذلك الشخص هو قاتل "**لينيت دويل**"؛ لأن هذا الوقت يتفق مع الوقت الذي قدره الطبيب لوقوع الجريمة، كما أنه من المرجح أن ذلك الشخص شهد بطريقة ما الذي حدث في الصالون قبل ذلك، بحيث كان يعلم مكان المسدس؛ لأن المسدس لم يكن ظاهرا، بل كان تحت

مقعد، فلم يكن من الممكن أن يعثر عليه بمحض المصادفة. ولكن "**فانثورب**" أكد أنه لم ير أحدا حول الصالون، وأن الأبواب كلها كانت مقفلة.

وبعد ذلك استجوب "**بوارو**" "**فانثورب**" عن تصرفاته بعد عجزه عن العثور على المسدس، فقرر أنه توجه إلى كبينته في الساعة الثانية عشرة والنصف –وهي الكبينة رقم 22 – في الجانب البعيد عن المرسى، وهي أقرب القمرات إلى الصالون، كما قرر أنه لم يسمع شيئا وهو في كبينته، سوى صوت أشبه ما يكون بوقوع شيء في الماء، ولكنه لا يستطيع الجزم بذلك لأنه كان قد بدأ يستسلم للنعاس. وقد حدد الوقت على وجه التقريب بالساعة الواحدة.

أما "**كورنيليا**"، فقررت أنها توجهت بعد المساعدة في تضميد ساق "**سيمون**" إلى كبينتها الخاصة، رقم 43 من جهة المرسى، وهي الكبينة الملاصقة لكبينة "**جاكلين دي بلفور**"، وقررت أنها لم تسمع شيئا بعد أن ذهبت إلى مخدعها.

وأما الآنسة "**بويرز**"، فقد طابقت أقوالها أقوال "**كورنيليا**" و "**فانثورب**" ونفت أن "**جاكلين**" تفوهت في نوبتها بأي تهديد لـ "**لينيت**"، وأكدت أنها لم تفارق حجرة "**جاكلين**" طول الليل. ولما انصرفت الممرضة.. تبادل "**بوارو**" و العقيد "**ريسي**" نظرات الحيرة، فقد انتفت كل شبهة عن عدوة القتيلة اللدود "**جاكلين**"؛ إذن فمن الذي قتل "**لينيت دويل**"؟!

الفصل الحادى عشر

افاقت "**جاكلين**" من تأثير المخدر، وتوجه "**بوارو**" إلى حجرتها فوجدها قد عادت إلى هستيريتها، وقد زادت من وقع الصدمة تلك الجريمة التي تمت على الصورة التي كانت تحلم هي بأن تقترفها، وراحت تصيح وهي تبكي:

– اتذكر تلك الليلة في حديقة فندق "**كتراكت**" يا سيد "**بوارو**"؟ ألم أكن

على حق حين ظننت أنه كان في الظلام بين الأشجار من يصغي إلى كلامي، وأنا أصف لك كيف أريد أن أطلق الرصاص على رأسها؟

– لقد تذكرت هذا حقًّا، وكنت أشك في أنك مازلت تذكرينه.

– ذلك الرجل الذي كان يصغي إلينا.. من هو؟

– وهل أنت واثقة بأنه رجل يا آنسة؟

– لست أدري.. لقد كان هناك شخص ما.

وفي هذه اللحظة طرق الباب الدكتور "**بستر**" ليبلغ "**بوارو**" أن "**سيمون**" مضعضعا من صدمته المضاعفة، ولكنه كان مهتمًّا جدًّا بإبعاد الشبهة عن "**جاكلين**"، فأكد له "**بوارو**" أن الشبهة بعيدة عنها كل البعد. ولكنه سأله هل يشك في أحد.. فلم يستطع "**سيمون**" أن يحصر الشبهة في أحد، كما قرر أنه لا يدري شيئا عن ظروف زوجته المالية ووجود ضغائن لهذا السبب.

وقرر "**بوارو**" بعد ذلك استدعاء الخادم، فحضرت "**لويز**"، وقررت أنها التحقت بخدمة القتيل منذ شهرين، وكانت هي نفسها الفتاة التي صادفها "**بوارو**" يوما ما تتحدث مع مهندس الباخرة بحالة تبعث على الريبة. وسألها "**بوارو**":

– متى رأيت "**لينيت دويل**" حية لآخر مرة؟

– أمس مساء يا سيدي، بعد أن ألبستها ثياب النوم. وكان ذلك بعد الحادية عشرة.

– وكم من الوقت استغرقت عملية إلباسها ثياب النوم إلى أن تركتها؟

– عشر دقائق، فقد كانت سيدتي متعبة وأمرتني بإطفاء النور قبل خروجي.

– وماذا فعلت بعد أن تركتها؟

– توجهت إلى كبينتي في الطابق الأسفل.

– وهل سمعت أو رأيت شيئا يساعدنا في التحقيق؟

– وكيف يمكن لي أن أسمع أو أرى؟

– هذا ما عليك أن تحدديه.

– الواقع أنني لم أكن قريبة من مكان الحادث. فكيف يمكن أن أرى أو أسمع؟ وبطبيعة الحال لو أنني أرقت وصعدت السلالم، ربما كنت أرى القاتل – ذلك المجرم المتوحش – وهو يتسلل خارجا من كبينة سيدتي. ولكن.. ومدت يديها بحركة استنجاد نحو "سيمون" وقالت له:

– بربك يا سيدي، ماذا أستطيع أن أقول؟

– لا تكوني حمقاء يا فتاتي، فلا أحد يظن أنك سمعت أو رأيت شيئا، ولا يتهمك أحد بشيء فاطمئني، وساعتني بأمرك. فشكرته على استحياء. فقال "بوارو":

– إذن أنت لم تري ولم تسمعي شيئا؟

– هو ذلك يا سيدي.

– وأنت لا تعرفين أحداً يحقد على سيدتك.

– بل أعرف.

– أتعنين الآنسة "جاكلين دي بلفور"؟

– هي بالتأكيد حاقدة عليها، ولكن ليست هي التي أعني، فهناك في الباخرة شخص يكره سيدتي؛ لأنها أصابته بضرر جسيم. فصاح "سيمون":

– يا إلهي! من هذا؟!

– إنه الخطيب الذي كان يطمع في الزواج بالخادمة السابقة "ماري". واسمه "فليتوود"، وقد اكتشفت سيدتي أنه متزوج بالفعل في "مصر" وله ثلاثة أطفال، وأطلعت "ماري" على ذلك السر فقطعت علاقتها به. ولما علم "فليتوود" ان سيدتي بين ركاب هذه الباخرة فكر في قتلها، كما قال لي ذلك مرارا؛ لأنها تسببت في تحطيم قلبه.

– وهل أخبرت سيدتك بذلك؟

ـ كلا يا سيدي بالتأكيد.

ـ وهل تعرفين شيئا عن لآلئ سيدتك؟ فاتسعت حدقتا "**لويز**" وصاحت:

ـ اللآلئ؟! إنها كانت تلبسها الليلة الماضية.

ـ وهل رأيتها حين ذهبت إلى فراشها؟

ـ نعم يا سيدي.

ـ وأين وضعتها؟

ـ على المائدة التي بجوار الفراش كالمعتاد.

ـ وهناك رأيتها لآخر مرة؟

ـ نعم يا سيدي.

ـ وهل رأيتها هناك هذا الصباح؟ فظهرت الدهشة على وجه الفتاة وقالت:

ـ إنني لم أنظر إليها؛ لأن منظر سيدتي قد ألهاني عن كل شيء، فصرخت واندفعت خارجة.

ـ ولكنني أنا "**هيركيول بوارو**" لم يفتني أن أنظر، ولم يكن فوق المائدة التي بجوار الفراش أي أثر للآلئ هذا الصباح.

*****

كلف "**بوارو**" الخادمة بالبحث والتنقيب بين أشياء سيدتها، لكن لم يُعثر للآلئ على أثر، فقال العقيد لـ "**بوارو**":

ـ عندما قال "**فانثورب**" أمس إنه سمع سقوط شيء في الماء، تبادر إلى ذهني أن يكون القاتل قد ألقى المسدس فيه.

ـ هذا فرض أعتقد أنه بعيد الاحتمال، وأفضل في الوقت الحاضر أن نبعث في طلب "**فليتوود**".

فإذا هو رجل ضخم الجثة شرس المنظر، عرف فيه "**بوارو**" فوراً ذلك المهندس

الذي كانت تتحدث إليه "لويز" خلسة، وقد واجهه "بوارو" بالمعلومات التي أفضت بها الفتاة فأقر بأن الوقائع الأولى صحيحة، ولكنه أنكر الإقدام على تلك الجريمة، وراح العرق يتصبب على وجهه، فسأله "بوارو" :

– أين كنت في الليلة الماضية فيما بين نصف الليل والساعة الثانية صباحا؟

– كنت في فراشي نائما، وشريكي في الكبينة يشهد بذلك. وصرفه العقيد بعد ذلك، ثم تبادل مع "بوارو" نظرات التساؤل، فهز "بوارو" كتفيه ثم قال:

– إنه رجل شرس وعصبي المزاج بالفعل، ولكنه لا يذهب إلى حد القتل، ومع ذلك فإنني سأتحقق من صحة أقواله، وإن كانت شهادة شريكه في الكبينة لا تقطع بشيء، فقد يكون ذلك الشريك غارقا في النوم.

– يجب التحقيق على كل حال.

– وأعتقد أننا يجب أن نعتني بعدئذ بالتحري كي نعرف هل سمع أحد الركاب شيئا فيما بين نصف الليل والثانية صباحا، مما يمكن أن يهدينا إلى شيء، فمن الجائز أن يكون أحد الركاب قد سمع الطلقة التي قضت على حياتها، وإن كان ذلك الصوت ضعيفا بحيث يُظَن أنه غير خطير.

– أنا شخصيًا لم أسمع شيئا.

– وأنا نمت هذه الليلة نوما عميقًا جدًا، فلم أسمع شيئا.

– يجب أن نسمع أقوال "آل آلرتون" ، فإن الكبينتين قريبتان جدًّا من مكان الجريمة. وحضرت السيدة "آلرتون" في ثوب من الحرير، وكان الأسف باديا على وجهها. وكان أول ما ذكرته:

– لقد سرني كثيرا أن تكون الآنسة "جاكلين دي بلفور" المسكينة بعيدة عن الشبهة.

– أنا أفهم عواطفك جيدا.. والآن هل لك أن تذكري لنا في أي وقت أويت إلى مخدعك يا سيدتي ليلة أمس؟

– بعد العاشرة والنصف مباشرة.

– وهل استغرقت في النوم في الحال؟

– نعم.. فقد كنت أشعر بالنعاس.

– وهل سمعت أي شيء في أثناء الليل؟ فقطبت حاجبيها قليلا، ثم قالت:

– نعم.. أظن أنني سمعت صوت سقوط شيء في الماء، ثم صوت إنسان يجري أو ما أشبه ذلك. وربما كان صوت الجري سابقا على صوت سقوط الشيء في الماء، فقد كان النعاس مستوليا على مشاعري، وخيل إليَّ أن أحدا قد سقط في الماء، فصحوت من ذلك الحلم المزعج وأصغيت مدة طويلة ولكن السكون كان شاملا.

– أتدرين في أي ساعة كان ذلك؟

– كلا، أخشى الا أستطيع التحديد.. لكن يخيل إليَّ أن ذلك قد وقع بعد أن نمت بمدة طويلة، ومن المحتمل أن يكون ذلك في نحو الساعة الواحدة صباحا.

– واخسارتاه.. ليتك تستطيعين التحديد.

– كلا للأسف.. ولست أرى فائدة في التخمين.

– وهل سبق لك أن قابلت "**لينيت دويل**" قبل هذه الرحلة؟

– كلا.. بل "**تيم**"، ابني هو الذي التقى بها قبل ذلك، وقد سمعت عنها الكثير من قريبتنا "**جوانا ساوثوود**".

– سؤال أخير يا سيدتي.. هل نزلت بأسرتك متاعب مالية بسبب مضاربات والد "**لينيت**"؟

– أنا مدركة بالتأكيد ما وراء هذا السؤال، فإن والد "**لينيت**" وجَدَّها كانا سببا في إفلاس كثير من الماليين عن طريق المضاربات. ولكن الواقع أن ذلك لم يحدث لنا.

– شكرا لك يا سيدتي، وأرجو أن تبعثي إلينا بنجلك. وانصرفت السيدة "**آلرتون**"، فوجدت ابنها في انتظارها يتوق إلى معرفة الأسئلة التي وجهت إليها،

فلخصت له تلك الأسئلة، واندفع بعد ذلك إلى غرفة التحقيق، وأجاب عن أسئلة "بوارو" بانه أوى إلى فراشه مبكرا في العاشرة والنصف، وقضى بعض الوقت في القراءة، ثم أطفأ نور كبينته في الحادية عشرة تماماً.

– وهل سمعت شيئا؟

– سمعت صوت رجل يلقي تحية المساء، وكان الصوت آتيا من بعيد. فقال العقيد "ريسي":

– لقد كان هذا صوتي وأنا ألقي تحية المساء على القتيل.

– نعم.. وبعد ذلك استغرقت في النوم، ثم سمعت ضجة أعقبها صوت امرأة تنادي "فانثورب" فيما أظن.

– تلك كانت الآنسة "كورنيليا روبسون" حين استنجدت بـ "فانثورب" بعد إصابة "سيمون".

– أظن هذا.. ثم سمعت بعد ذلك جملة أصوات، وصوت شخص يجري فوق الباخرة، ثم صوت سقوط جسم في الماء، وعلى أثر ذلك سمعت الدكتور "بسنر" يلقي أوامر مقتضبة من قبيل: احذر. خذ بالك. لا تسرع.

– وهل أنت متأكد من أن ما سمعته كان صوت سقوط شيء في الماء، وليس طلقة مسدس؟

– ربما.. لقد سمعت بالفعل صوتا كصوت خروج سدادة من فوهة زجاجة.. فرقعة خفيفة، ربما كانت طلقة مسدس، وقد تبادر إلى ذهني أن الفرقعة صوت فتح زجاجة، وأن سقوط الجسم في الماء هو صوت انصباب الشراب في الكؤوس، فإن الذي خطر لي أن فريقًا من الركاب يحيي حفلة ماجنة، وسخطت عليهم وتمنيت لو ذهبوا إلى مضاجعهم ليناموا.

– ألم تسمع شيئا آخر؟

– كلا.. فيما عدا تقلب "فانثورب" في فراشه في الكبينة الملاصقة لكبينتي،

حتى حسبت أنه لن ينام.

– وبعد ذلك؟

– وبعد ذلك استغرقت في النوم ولم أسمع شيئا.

الفصل الثاني عشر

أخذ العقيد "**ريسي**" يخطط رسما للباخرة "**الكرنك**"، يبين فيه مواضع الكبائن، وقال:

– "**فانثورب**"، ثم "**تيم آلرتون**" والسيدة "**آلرتون**"، ثم كبينة فارغة لم ينم فيها صاحبها تلك الليلة وهو "**سيمون دويل**"، فمن صاحب الكبينة المجاورة من الناحية الأخرى لكبينة "**لينيت**" القتيل؟ إنها الآنسة "**فان شويلر**" الأمريكية العجوز. فإذا كان أحد قد سمع صوتا صادرا عن كبينة القتيل تلك الليلة، فهو هذه الآنسة العجوز، وإذا كانت قد استيقظت الآن فيحسن أن نبعث إليها ونسمع أقوالها.

وبعد قليل دخلت "**فان شويلر**" متجهمة تفيض عيناها سخطا وغضبا، فعمد "**بوارو**" إلى تهدئتها حتى عرف منها أنها أوت إلى فراشها في الساعة العاشرة كما هي عادتها، ولكنها لم تنم فورا لأن "**كورنيليا**" تركتها مدة طويلة، فظلت ساهرة في انتظارها. وفي تلك الأثناء سمعت صوت "**لويز**" وصيفة "**لينيت**" تلقي على سيدتها تحية المساء، وبعد ذلك غفت قليلا إلى أن تنبهت لصوت حسبته داخل كبينتها ولكنها تحققت أنه في الكبينة المجاورة، وهي كبينة "**لينيت**"، وبعد ذلك سمعت صوتا في الخارج على سطح الباخرة أمام الباب، ثم صوت سقوط جسم في الماء، وقدرت الوقت عندئذ بأنه بعد الساعة الواحدة بعشر دقائق.

ولكنها قررت أنها لم تسمع صوت الطلق الناري، وإن كانت لا تجزم أن الصوت

الذي أيقظها كان هو الطلق الناري، ولكنها لم تنتبه له لأنها كانت نائمة. فلما سألها العقيد "ريسي" من تظن أنه أسقط هذا الجسم الذي أحدث صوتا باصطدامه بالماء؟ قالت:

– لست أظن.. بل أنا أعرفه جيدا، فإنني ارتبت في ذلك الصوت وقمت ففتحت باب كبينتي، فرأيت الآنسة "روزالي أوثربورن" منحنية فوق السياج، بعد أن أسقطت شيئا كان في يدها في الماء.

– وهل أنت واثقة بأنها الآنسة "روزالي أوثربورن"؟

– لقد رأيت وجهها بوضوح.

– وهل رأتك هي؟

– لا أظن أنها رأتني. وعندئذ، قام "بوارو" إلى الأمام وتولى هو سؤالها:

– وكيف بدا لك وجهها في تلك اللحظة؟

– كانت نهبا لانفعال عنيف.. ثم أدارت لي ظهرها واتجهت نحو مؤخرة السفينة، وعدت أنا إلى فراشي.

وفي هذه اللحظة دخل ربان الباخرة، فسلم إلى العقيد "ريسي" لفافة مبتلة من الحرير القرمزي، فراح العقيد يبسط طياتها الكثيرة، حتى سقطت منها لفافة أخرى، هي منديل من النوع الرخيص به آثار طلاء أحمر باهت، وقد طوي على مسدس صغير مرصعة قبضته باللآلئ، فظهر الفرح على وجه العقيد "ريسي"، وتناول "بوارو" المسدس في يده بعناية، ثم قال:

– نعم إنه هو المسدس الذي رأيته في حديقة "كتراكت". وهذان هما حرفا ج. ك، والعيار 22. وقد أطلقت منه رصاصتان. وعندئذ تنحنحت "فان شويلر"، ثم قالت:

– وشالي؟! إن الذي بيدك هو شالي الحريري! لقد بحثت عنه أمس طويلا، فلم أعثر عليه، وسألتُ عنه كل إنسان دون جدوى.

– شالك؟! ومتى كان آخر عهدك به؟

– مساء أمس في الصالون، فلما هممت بالتوجه إلى مخدعي لم أجده. ولست أدري لماذا وكيف استخدم هذا الاستخدام القبيح. وفحص العقيد الشال الثمين، فاتضح أنه استخدم لكتم صوت المسدس، بأن أطلقت الرصاصة من خلال طياته.

*****

وانتهت أقوال الآنسة "**فان شويلر**"، بعد أن قررت وأكدت أنها لم تتعرف إلى القتيل أو أسرتها قبل هذه الرحلة، فلما انفرد العقيد بالسيد "**بوارو**" استغرق الأخير في التفكير لحظة ثم ضرب المنضدة بقبضته وقال:

– المسألة الآن أشد تعقيدا، فهناك شخص كان يضمر نية قتل "**لينيت**"، وهذا الشخص شاهد مشاجرة "**جاكلين**" و "**سيمون**" في الصالون، ورأى سقوط المسدس من يدها واستقراره بركلة من قدمها تحت مقعد، وحصل هذا الشخص بعد ذلك على هذا المسدس، وقتل به "**لينيت**" ثم كتب حرف الجيم فوق الحائط حتى يضلل المحقق، ثم نرى عجبا: فهذا القاتل الذي يدبر كل شيء كي تشير القرائن إلى انحصار الشبهة في "**جاكلين دي بلفور**"، لا يترك مسدسها الذي اقترف به الجريمة كي نعثر عليه فتزداد الشبهة قوة، بل هو يلقيه في قاع النهر. وذلك تخبط وتناقض غير مفهومين، فهناك ولا شك حلقة ناقصة أو خطأ في التسلسل.

– ربما.. وأظن أنه من المناسب الآن أن نسمع أقوال "**روزالي أوثربورن**".

– نعم نعم.. فقد يوضح لنا ذلك بعض ما يكتنفنا من الغموض.

وبعد قليل كانت الفتاة تقرر أنها أوت مع والدتها إلى فراشها قبل الساعة الحادية عشرة، وأنهما لم تسمعا شيئا غير عادي فيما عدا بعض الضجة من جهة كبينة الدكتور "**بسنر**"، ولكنهما لم تعرفا سببها قبل الصباح. وسألها كل من العقيد "**ريسي**" والسيد "**بوارو**":

– أو لم تسمعا طلقا ناريًا؟

– كلا.

– ألم تغادري كبينتك ليلة أمس؟

– كلا.

– أواثقة أنت بذلك؟

– ماذا تعني؟ كل الثقة بالتأكيد.

– ألم تتجولي حول مؤخرة الباخرة من الجهة المقابلة للمرسى وتقذفي إلى الماء بشيء كان في يدك؟ فاحتقن وجهها وقالت:

– هل يحظر القانون إلقاء أشياء في الماء؟

– كلا بالتأكيد.. فهل فعلت؟

– كلا.. لقد قلت لك إنني لم أغادر كبينتي.

– وإذا شهد أحد أنه رآك، العانس "**فان شويلر**" مثلا؟

– هل قررت ذلك "**فان شويلر**"؟

– نعم.. لقد رأتك أمام باب كبينتها تلقين شيئا في الماء، وكان ذلك بعد الساعة الواحدة بعشر دقائق.

– وهل رأت شيئا عدا ذلك؟ أي ما الذي كان بيدي؟

– لم تر شيئا، ولكنها سمعت سقوط الشيء في الماء، فهل مازلت مصرة على الإنكار؟

– ولماذا بحق السماء ألقي شيئا في الماء في جوف الليل؟

– ربما كان هناك سبب، أعني سببا بريئا، وإن كان قد ثبت لنا الآن أن شخصا قد ألقى في الماء أمس ليلا شيئا غير بريء.. انظري. ووضع أمام عينيها المسدس، فاضطربت، وقالت:

– وهل تظن بأنني أنا القاتلة؟ هذا مضحك وسخيف، فإنني لم أكن لأعرفها

حتى المعرفة السطحية.

- لكن تذكري أن "**فان شويلر**" مستعدة لحلف اليمين على أنها رأت وجهك بوضوح في ضوء القمر.

- إنها عجوز حمقاء ضعيفة البصر، فلم تكن أنا التي رأتها.

وأصرت على تلك الأقوال، ثم انصرفت. وتلتها بعد ذلك والدتها فلم تدل بأقوال تفيد التحقيق، ولكنها راحت تثرثر بتخمينات عن أسباب الجريمة وإنها تتصل كلها بالاضطرابات الجنسية، شأن تفكيرها في جميع رواياتها، ولما تمكن "**بوارو**" من صرفها بسلام، استدعى السيد "**ريشتي**"، وكان منزعجا لما حدث، فقرر أنه أوى إلى فراشه مبكرا جداً، بعد العشاء مباشرة، فقضى بعض الوقت في قراءة كتاب ظهر حديثا عن الآثار الخزفية في "**الأناضول**"، ثم أطفأ النور قبل الحادية عشرة، ولم يسمع صوت طلق ناري، ولا صوتا يشبه فتح زجاجة مستعصية. ولكنه سمع في جوف الليل صوت سقوط جسم ثقيل في الماء بالقرب من كبينته المطلة على الماء. وكبينته في الطابق السفلي من جهة مؤخرة الباخرة، في الجانب المقابل للمرسى، وقد قدر الوقت بأنه بعد مرور ساعتين أو ثلاث على نعاسه، وربما كان ذلك بعد الساعة الواحدة بقليل.

وانتهت أقوال "**ريشتي**"، فتبعه على الأثر "**فرجيسون**"، وكان على عادته وقحا متباهيا بالوقاحة، فقد قال حينما علم بمقتل "**لينيت**" وسئل عن معلوماته عن الحادث:

- في داهية.. فإن العالم يشكو التخمة من التافهات الطفيليات ومن مثيلاتها الرأسماليات المغرورات. وقد كنت ليلة أمس في صحبة الآنسة "**كورنيليا روبسون**" عندما زرنا المعبد، فلما عدنا إلى الباخرة فارقتها وتجولت وحدي برهة إلى أن عدت في حوالي نصف الليل، فأويت إلى كبينتي وهي في الطابق الأسفل إلى الجهة المقابلة للمرسى، لأنني لا أسكن الطابق الأعلى مع النبلاء المتعفنين.

– ألم تسمع طلقا ناريًّا أو صوتا أشبه بخروج سدادة مستعصية من زجاجة شراب؟

– أظن أنني سمعت صوتا كالذي تصفه، لكن لا أذكر متى بالضبط، فقد كان عدد من الركاب لا يزالون يقظين، وسمعت جلبة وصوت جري في الطابق الذي يعلوني.

– ربما كان ذلك صوت الطلق الذي أصاب ساق "**سيمون دويل**"، لكن ألم تسمع صوتا آخر يشبهه؟ ولا صوت كسقوط شيء في الماء مثلا؟

– صوت سقوط شيء في الماء؟! أظن أنني سمعت صوتا من هذا القبيل، لكن كانت هناك ضوضاء كثيرة، ولهذا لست متأكدا.

– وهل غادرت كبينتك في أثناء الليل؟

– كلا.. ولهذا لم أشترك للأسف في تلك العملية الموفقة! وانصرف "**فرجيسون**" بعد ذلك، فنظر "**بوارو**" إلى العقيد وقال:

– ألا تظن أنه الرجل الذي تنشده؟

– أستبعد هذا، فالطراز الخطر من المتآمرين لا يبوحون بآرائهم وعواطفهم. ولكنني واثق بأن ضالتي فوق سطح الباخرة، فقد كانت التعليمات والمعلومات قاطعة ومحددة. والآن حل دور "**بننجتون**" وكيل "**لينيت**" ووصيها، فلنسمع ما لديه.

ودخل "**أندرو بننجتون**"، وقد بدت على وجهه مظاهر الألم والحزن المفروضة في وصي كان بمنزلة الوالد، ولكن تلك المظاهر لم تنطل على فراسة "**هيركيول بوارو**". وقد قرر أنه لم يسمع شيئا فإن كبينته هي التالية لكبينة الدكتور "**بسنر**"، فكل ما سمعه في أثناء نومه هو ضجة حول تلك الكبينة، مصحوبة بعبارات غامضة عرف فيها صوت جاره الطبيب، ولكنه ليس متأكدا من الوقت بالضبط.

– ألم تسمع صوت طلقات مسدس؟

– لم أسمع شيئا من هذا القبيل مطلقًا.

– ومتى أويت إلى مخدعك؟

– بعد الساعة الحادية عشرة بقليل.

– لقد كنت صديقا حميما للقتيلة، وأنت أعرف الناس في الغالب بظروف حياتها، ولا شك في أنك أدرى بها من زوجها؛ لأنه لم يتعرف إليها إلا منذ أشهر قليلة، فهل تعرف أحدا يُكِنُّ لها حقدا خاصًا بحيث يدفعه ذلك إلى الرغبة في قتلها؟ بلل شفتيه الجافتين بطرف لسانه، ثم قال:

– أؤكد لك أنه ليست لديَّ أية فكرة مطلقا عن شيء من ذلك القبيل. وقد نشأت "لينيت" في "أوربا"، فلا أعرف شيئا عن ظروفها الشخصية. أما الظروف المالية فهي التي تحت يدي.

– ومع ذلك يا سيد "بننجتون"، فإن من بين ركاب هذه الباخرة أشخاصا أو شخصا واحدا على الأقل يضمر لها السوء. وأنت تذكر ولا شك حادث الصخرة التي كادت تفتك بها على هذا الشاطئ نفسه ونحن في رحلة الذهاب، ولم تنج إلا بأعجوبة.

– إنني لم أر ذلك الحادث؛ لأنني كنت داخل المعبد، ولكنني سمعت عنه بعد ذلك، وظننت وقتئذ أنها مصادفة.

– أما الآن وقد حدث ما حدث، فالأمر أكثر من مصادفة. فتصبب جبينه عرقا، مسحه بمنديله الحريري وقال:

– هو ذلك فعلا. وبذلك انتهت أقواله إلى غير نتيجة. فلما انصرف أشعل العقيد سيجارة، وقال بلهجة ذات مغزى:

– أرى يا عزيزي "بوارو" أن السيد "بننجتون" لم يكن طبيعيًّا في أثناء الاستجواب.

– أجل.. ولكن هناك أكثر من هذا، لقد ذهب به الحرج والاضطراب إلى حد التورط في كذبة فاضحة. لقد زعم أنه كان في المعبد عندما وقع حادث الصخرة، وهذا كذب صريح فقد كنت أنا الذي أكلمك الآن موجودا وأستطيع أن أؤكد لك أنه لم يكن في تلك اللحظة داخل المعبد؛ لأنني كنت خارجا من المعبد في الوقت نفسه.

– يا لها من أكذوبة كبيرة. وفي تلك اللحظة، اهتزت الأرض تحت أقدامهما، فقد كان العقيد قد أصدر أمره بعد العثور على المسدس في جوف النهر، أن تقلع الباخرة "**الكرنك**" عائدة إلى "**أسوان**". وعندئذ قال "**بوارو**":

– والآن حان أن ننظر في مسألة اللآلئ المختفية. ولما كان الغداء سيبدأ بعد نصف ساعة، فإنني أرى أن أعلن قرب نهايته أن مجوهرات القتيل قد سرقت، ثم أطلب من الجميع عدم مغادرة القاعة إلى أن تنتهي عملية تفتيش الكبائن، ويُجرى في الوقت نفسه تفتيش الركاب.

– فكرة صائبة، فإن الذي سرق الجواهر ما زال محتفظًا بها. وعدم إنذار السارق من قبل، يحول دون إلقائه المسروقات في جوف النيل.

– والآن أحب أن نسجل ترتيب الحوادث قبل الاستمرار في البحث.

– لقد أعددت يا عزيزي "**بوارو**" مذكرة بالموقف أرجو أن تلقي إليها نظرة.

المذكرة

تناول "**بوارو**" المذكرة، فوجدها على النحو التالي:

* كانت الخادمة "**لويز بورجيه**" آخر من رأى القتيل حية في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء.

* فيما بين الحادية عشرة والنصف والثانية عشرة والنصف، كان كل من

"**كورنيليا روبسون**"، و"**جيمس فانثورب**"، و"**سيمون دويل**"، و"**جاكلين دي بلفور**"، مجتمعين معًا، فهم دون غيرهم يملكون إثباتات تبعدهم عن الشبهة في تلك المدة.

* ولكن الجريمة حدثت في الغالب بعد ذلك الوقت؛ لأنه من الثابت أنها اقترفت بمسدس "**جاكلين**" بعد أن اعتدت به على "**سيمون**".

* من المرجح أن القاتل شهد بعينيه المشادة التي انتهت بإطلاق الرصاص على "**سيمون**" في صالون المراقبة، وعندما أُخلي الصالون بعد ذلك، حصل ذلك المجهول على مسدس "**جاكلين**" من تحت المقعد؛ لأن خطته مبنية على إلقاء الشبهة على "**جاكلين**" بما أنها غريمة "**لينيت**" التي طالما هددت بقتلها.

* بناء على ما تقدم، تبعد الشبهة عن "**كورنيليا روبسون**"؛ لأنه لم تسنح لها الفرصة للاستيلاء على المسدس قبل عودة "**فانثورب**" للبحث عنه.. فقد كانت مشغولة بمعاونة الطبيب في تضميد الجرح.

* الظروف نفسها تنطبق على الآنسة "**بويرز**" الممرضة.

* وتنطبق أيضًا على الدكتور "**بسنر**".

* ويجب ملاحظة أن "**فانثورب**" ليس بعيدا عن الشبهة بشكل قاطع؛ لأنه يحتمل أن يكون قد عثر على المسدس ووضعه في جيبه وزعم أنه لم يجده.

* ويجب أيضًا افتراض أن أي شخص آخر كان يمكنه أن يعثر على المسدس في مدة الدقائق العشر التي كان فيها الصالون خاليا.

دوافع محتملة للجريمة

* ربما كان "**أندرو بننجتون**" –الوصي الأمريكي –قد عبث بأمانة التركة المعهودة إليه، ويؤيد هذا الفرض محاولته الحصول على توقيعها، فضلا على شبهات أخرى،

ولكنها غير كافية. ولو ثبت أنه مرتكب حادثة الصخرة، لثبت أيضًا أنه من ذلك الطراز الذي لا يتورع عن اغتنام الفرصة العارضة دون تدبير سابق، ولا شك في أن إطلاق "**جاكلين**" الرصاص على "**سيمون**" كان فرصة عارضة لم يدبرها أحد.

* يُضْعِفُ الافتراض السابق أن المسدس أُلقي في النيل، فلو أنه هو الفاعل، فلماذا يلقي أداة الجريمة التي اختارها لإلقاء الشبهة على "**جاكلين**"، ولم يترك المسدس كي نعثر عليه؟

* وهناك أيضا مهندس الباخرة "**فليتوود**"، ودافعه الانتقام، فهو شخص شرس، ولعله شهد من الجدران الزجاجية جانبا من المشادة التي انتهت بإطلاق الرصاص على "**سيمون**"، وربما يكون قد استعمل مسدس "**جاكلين**" لأنه السلاح الوحيد الذي وجده تحت يده؛ لأنه ربما كان لا يملك مسدسا. ولما لم تكن نيته منصرفة إلى حصر الشبهة في "**جاكلين**" صاحبة المسدس، فقد ألقاه بعد ذلك في النيل، وهذا فرض يفسر نقطة إلقاء المسدس.

* لكن يُضْعِفُ هذه النظرية أنه إذا لم يكن قصده إلقاء الشبهة على "**جاكلين**"، فلماذا حرص على كتابة حرف الجيم بالدم على الجدران؟!

* ويجب ملاحظة أن المنديل الرخيص الذي كان المسدس ملفوفًا به ربما كان يخص "**فليتوود**"، فهو أشبه به من بين سائر الركاب.

* وإذا أخذنا بشهادة "**فان شويلر**"، نجد أن هناك شبهة تحوم حول "**روزالي أوتربورن**"، لكن هل نصدق العجوز أم نصدق "**روزالي**"؟ إن هناك شيئا قد أُلقي تلك الليلة في النيل فعلا، وقد انتشل المسدس من قاع النيل ملفوفا في شال العانس "**فان شويلر**" بالذات.

* يجب البحث عما إذا كان هناك دافع لدى "**روزالي أوترپورن**" يمكن أن يدفعها إلى قتل "**لينيت**". ربما كانت تحسدها، لكن ذلك لا يكفي سببا مباشرا للقتل. وليس هناك ما يدل على معرفة سابقة بينهما.

* قررت "**فان شويلر**" أن شالها الذي عُثر عليه ملفوفًا حول المسدس قد ضاع منها تلك الليلة، وكان آخر عهدها به في صالون المراقبة، وقد لفتت الأنظار إلى ضياعه لفتا ظاهرا في ذلك المساء بسؤال جميع الناس، فكيف حصل القاتل المجهول على ذلك الشال؟ ولماذا حصل عليه في أول السهرة، ولم يكن هناك ما يمكن أن ينبئ بحدوث ما حدث بين "**جاكلين**" و"**سيمون**"؟! وإذا كان القاتل المجهول قد وجد الشال وهو يستولي على المسدس من تحت المقعد، فمعنى ذلك أن الشال كان في الصالون، مع أنه من الثابت أن الجميع قد فتشوا عنه هناك بعناية.

* وإذا كان الشال لم يُفقد من الآنسة "**شويلر**" من الأساس، بل كان في حوزتها طوال الوقت، فادعاؤها فقدانه يلقي عليها شبهة أنها هي التي قتلت "**لينيت**"، وفي هذه الحالة تكون شهادتها ضد "**روزالي أوثربورن**" أكذوبة مقصودة، فهل هو حقد عانس عجوز على الشابات دفعها إلى قتل شابة وإلقاء الشبهة على شابة أخرى؟

* من المحتمل أن تكون السرقة هي هدف الجريمة، مادامت اللآلئ قد اختفت، ومادام من الثابت أن "**لينيت**" كانت تتزين بها في تلك الليلة.

* غير مستبعد أن يكون هناك ثار قديم –لأسباب مالية في الغالب– بين أسرة القتيل وطرف آخر.

* لدينا معلومات موثوق بها عن وجود ذلك المتآمر الدولي المشهور، وهو قاتل محترف مطلوب القبض عليه من السلطات المختصة لارتكابه ست حوادث قتل، فهل يمكن أن تكون له صلة بهذه الجريمة؟ يجب أن نعرف أولاً إذا كانت لدى "**لينيت**" – قبل مصرعها – معلومات خطيرة تتهدد سلامة ذلك الشخص، وفي هذه الحالة يكون معقولاً أن يُقْدِمَ على التخلص منها لتأمين حياته.

* وعلى ذلك يمكن تقسيم ركاب الباخرة إلى فريقين:

الفريق الأول منهما هو الذي أمكن افتراض شبهات حول أفراده، أما الفريق الثاني

فافراده حتى الآن بعيدون عن الشبهة.

فريق المشتبه في أمرهم: "**أندرو بننجتون**" - "**فليتوود**" - "**روزالي أوثربورن**" - الآنسة "**فان شويلر**" - "**لويز بورجيه**" (بقصد السرقة) - "**فرجيسون**" (بدافع سياسي).

فريق البعيدين عن الشبهة: السيدة "**آلرتون**" - "**تيم آلرتون**" - "**كورنيليا روبسون**" - الآنسة "**بويرز**" - الدكتور "**بسنر**" - السيد "**ريشتي**" - السيدة "**أوثربورن**" - "**جيمس فانثورب**".

*****

فلما فرغ "**بوارو**" من قراءة تلك المذكرة قال للعقيد:

- لقد كنت مثالا للدقة فيما سجلت.

- أموافق أنت على هذه الملاحظات؟

- نعم، ولكن السؤال الرئيسي الذي أعتقد أنه مفتاح القضية هو: لماذا أُلقي المسدس في النيل؟! فلو أننا عرفنا الجواب الصحيح عن هذا السؤال لتبدد كل غموض يحيط بالجريمة. ثم تناول "**بوارو**" الشال القرمزي وراح يقلبه بين يديه، ثم فحص الخروق الناجمة عن انطلاق الرصاص وما يحيطها من حروق، ثم قال للعقيد "**ريسي**":

- إنك يا عزيزي العقيد أدرى مني بكل ما يتعلق بالأسلحة النارية، هل تعتقد أن لف المسدس الصغير في هذا الشال وإطلاق النار من داخله يكتم صوت الطلقة كل الكتمان؟

- كلا.

- وهل تعتقد أن الرجل الذي تعود استعمال الأسلحة النارية يمكن أن يجهل هذه الحقيقة؟

– إنه يعرفها ولا شك.

– أما المرأة التي لم تتعود ذلك فمن المحتمل أن تجهل هذه الحقيقة، وتظن أن الشال سيكتم الصوت. ثم إن هذا المسدس الدقيق الحجم لا يحدث صوتا كبيرا، فإذا أطلق في الوقت الذي تكون هناك فيه أصوات أخرى، لم ينتبه لانطلاقه أحد في الغالب.

– من الجائز جداً أن يكون الأمر كذلك. ثم تناول "بوارو" المنديل الذي به آثار الطلاء الأحمر الباهت، وراح يقلبه بين يديه قائلاً:

–لكن ليس هذا منديل امرأة، بل منديل رجل.. وهو بغير شك ليس رجلا راقيا. إنه أشبه بمناديل الخدم، فهو لا يساوي أكثر من قرش أو قرشين.. إنه من النوع الذي يستخدمه رجل مثل "فليتوود"، أما "بننجتون" فيستخدم مناديل حريرية فاخرة، فقد رأيته يخرج إحداها لتجفيف عرقه المتصبب.

– "فرجيسون" إذن؟

– ربما.. وربما أيضا أن القاتل قد تعمد استعمال هذا النوع بمثابة قفاز حتى لا تترك بصمات يده أثرا.

الفصل الثالث عشر

وفي هذه اللحظة دخل أحد الخدم ليخبر "بوارو" بأن "سيمون دويل" يطلب مقابلته. فاسرع إليه حيث كان لا يزال راقدا في كبينة الدكتور "بسنر". وكان وجهه محتقنا بتأثير الحمى، وقد جلس معتمدا إلى كومة من الوسائد، وارتسمت على وجهه أمارات الحيرة والارتباك. وقد شكر "بوارو" على تفضله بالحضور ثم قال:

– هناك مسألة أحب أن أتحدث إليك بشأنها.

ـ وما هي؟

ـ إنها.. بخصوص "**جاكلين**". فإنني باختصار أريد أن أراها، فهل لديك مانع؟ وهل تعتقد أنها تمانع في الحضور إذا طلبت أنت إليها ذلك؟ فقد قضيت هذه المدة راقدا أفكر في الصدمة التي وقعت لهذه المسكينة، فهي طفلة وحيدة.. ليس لها سند أو معين كما تعلم.. والحقيقة أنني أسأت إليها كثيرا حتى حطمت أعصابها وأفقدتها التوازن. وسكت "**سيمون**" لا يدري ماذا يقول وقد زادت وطأة ارتباكه، فحدق "**بوارو**" إلى وجهه مليًّا ثم قال:

ـ أتريد أن ترى الآنسة "**جاكلين**"؟ وهو كذلك. سأحضرها إليك.

ـ إنه لكرم عظيم منك. وذهب "**بوارو**" يبحث عن "**جاكلين دي بلفور**"، فوجدها جالسة وحدها في أحد أركان صالون المراقبة، وفوق ركبتيها كتاب مفتوح، ولكنها لم تكن تنظر إليه، فقال لها "**بوارو**":

ـ إن السيد "**سيمون دويل**" يريد أن يراك.. فهل تأتين معي إليه؟ وكان صوت "**بوارو**" رقيقا جدًّا فياضًا بالحنان، فالتمعت عيناها واحمر وجهها ثم اصفر، وظهرت عليها الحيرة وهي تقول:

ـ "**سيمون**" يريد أن يراني أنا؟!

ـ نعم.. فهل تأتين معي؟

ـ طبعًا.. طبعًا.. بكل تأكيد.

ومضت معه في إذعان الأطفال، لكن أيضًا في ارتباكهم وحيرتهم. فلما وصلا دخل "**بوارو**" أولا وأعلن قدومها، فدخلت ووقفت في مكانها كالمترنحة، وقد تسمرت عيناها في وجه "**سيمون**"، وكان "**سيمون**" لا يقل عنها ارتباكا، ولكنه عثر على لسانه قبلها، فقال متلعثما:

ـ مرحبا بك يا "**جاكلين**".. إنه لكرم منك أن تأتي، فإنني أريد أن أقول... إن ما أقصده... وعندئذ أخرجته من ارتباكه، وقد أخذت الكلمات تتدفق من فمها وهي تلهث:

– "**سيمون**"! إنني لم أقتل "**لينيت**" أنت تعرف أنني لم أقتلها.. لقد كنت كالمجنونة أمس.. آه.. هل تغفر لي؟

– بالتأكيد.. بالتأكيد.. أنت معذورة. كل ما هنالك أنك أفرطت في الشراب بعض الشيء.

– ماذا تقول؟ كان من الممكن أن تصيبك هذه الرصاصة في مقتل.

– ما هذا الهراء؟ لا تقولي ذلك.

– ولكن ساقك؟ ربما تضاعفت إصابتها في المستقبل.

– كفى هراء يا "**جاكلين**"! فعند وصولنا إلى "**أسوان**" سيجرون عليها كشفا بالأشعة، ويتولى إخصائي عملية التجبير بعد أن يخرج الرصاصة، وسرعان ما تلتئم وتشفى. وترنحت "**جاكلين**" قليلا، ثم اندفعت نحوه وركعت إلى جوار الفراش ودفنت وجهها في صدره وأخذت تنتحب.. فجعل "**سيمون**" يربتها، والتقت عيناه بعيني "**بوارو**"، فتنهد "**بوارو**" وتسلل خارجا، وهو يسمع الهمسات المتقطعة:

– آه يا "**سيمون**" يا حبيبي! كيف أمكن أن أفعل هذا بك؟ ووجد "**بوارو**" الآنسة "**كورنيليا**" منحنية فوق السياج أمام الباب، فالتفتت نحوه قائلة:

– ما أعجب المفارقات! تصور أن تكون بهذه الحالة في يوم بديع كهذا اليوم؟ انظر إلى السماء، وإلى الشمس! فتطلع "**بوارو**" إلى الشمس، ثم قال لها كمن ينشد أغنية محفوظة:

– عندما تبزغ الشمس لايستطيع الإنسان أن يرى القمر، لكن عندما تغيب الشمس، يبصر الإنسان القمر!

– ماذا تقول؟.. هذا بالتأكيد شيء بديهي معروف!

– وأنا رجل عجوز أحمق يهذي بالبديهات. واستأنف سيره، فطرقت سمعه أصوات متقطعة من الكبينة المجاورة، وهي كبينة آل "**أوثربورن**":

– يا لك من ناكرة للجميل.. أبعد كل ما فعلت من أجلك؟ ألا تدركين مبلغ

عذابي؟ ألا تراعين مزاج أمك؟ فزم عندئذ "بوارو" شفتيه وطرق الباب، فإذا صوت السيدة "أوثربورن" يسأل من الطارق، فقال:

– هل الآنسة "روزالي" موجودة؟ فبرزت إليه "روزالي"، ولاحظ تحت عينيها حلقات سوداء وتقرحا في أجفانها، وبادرته بالسؤال في جفوة عما يريد. فقال:

– حبذا لو تكرمت يا آنسة ببضع دقائق من الحديث على انفراد. فظهر عليها التجهم والتردد، ولكنه كرر التوسل فمشت معه إلى سطح الباخرة، متجهين إلى مؤخرتها؛ لأن المكان هناك كان خاليا، ووقف "بوارو" وظهره إلى السياج.. أما "روزالي" فوقفت أمامه منتصبة القامة كما يقف الجنود وقفة الانتباه، وشرع "بوارو" يتكلم ببطء وهدوء وهو ينتقي الكلمات انتقاء:

– لقد تعودت يا آنسة أن تحملي عبء همومك وحدك، لكن ذلك العبء قد طال بك احتماله، حتى أرهقك، وبدأت تظهر عليك بوادر التعب والإعياء.

– لست أدري عما تتكلم.

– إنني أتكلم بلسان الواقع يا آنسة، والواقع أحيانا كريه لا نحب أن نواجهه، ولكني رجل أحب أن أسمي الأشياء بأسمائها، وقد تبينت من خبرتي الطويلة أن ذلك أهون على النفس.. إن والدتك باختصار تدمن الشراب! فسكتت "روزالي" ولم تجب، وفغرت فمها ثم أقفلته ثانية وهي لاتدري ماذا تقول، فاستطرد "بوارو" عندئذ قائلا:

– لا حاجة بك إلى الكلام يا آنسة، فسأتولى أنا عنك ذلك.. لقد اهتممتُ منذ كنا في "أسوان" بدراسة العلاقة بينك وبين والدتك، وأدركت أنك تكنين نحوها عاطفة قوية صادقة، ثم قابلت والدتك بعد ذلك ذات صباح باكر، وكانت في حالة سكر واضح، ثم لما جلست معكما إلى المائدة رأيتها تكرر على مسمعي أنها لا تذوق الأشربة المسْكرة، فادركت أنك أنت التي تمنعينها من ذلك، وأنها تشرب في حجرتها سرًّا وخلسة. وأستطيع أن أؤكد لك أنه قد حدث في الليلة الماضية في أثناء استغراق والدتك في النوم أن عثرت أنت في حجرتها على مخبإ سري لهذه

الأشربة، فحملت صندوق زجاجات الشراب وألقيت به في النيل.. أليس هذا هو ما حدث يا آنسة؟

– نعم هذا ما حدث.. وكان خطأ مني ألا أصارحك بالحقيقة بعد أن شهدت الآنسة "**فان شويلر**" انها رأتني، ولكنني يا سيد "**بوارو**" شديدة الخجل من سلوك والدتي، وإن كنت أعذرها وأشفق عليها.

– هدئي من روعك.. فالسر عندي مصون.

– لا شك عندي في هذا يا سيد "**بوارو**"، لكن أرجو منك أن تغفر لي خشونتي.

– لا حرج عليك.. والآن أخبريني هل كان إلقاؤك صندوق زجاجات الشراب بعد الساعة الواحدة بعشر دقائق؟

– ربما.. فقد كان الوقت نحو ذلك فعلا.

– وهل رأيت الآنسة "**فان شويلر**" كما رأتك؟

– كلا.

– ألم تري أحداً آخر حينما كنت واقفة فوق سطح الباخرة؟ فسكتت لحظة وقد قطبت حاجبيها كمن يفكر تفكيرا عميقا، ثم هزت رأسها ونفت ذلك بلهجة قاطعة. فهز "**بوارو**" رأسه، ولكن عينيه كانتا تلمعان ببريق خاص.

الفصل الرابع عشر

أقبل الناس على قاعة الطعام أفرادا وجماعات، ولكن في تراخٍ، كأنهم يشعرون بأن في الإقبال على الطعام – بعد تلك الجريمة التي ذهبت ضحيتها "**لينيت دويل**" – شيئا غير مستحب. وقد دخل "**تيم آلرتون**" القاعة بعد أن أخذت أمه مكانها، وكان بادي الوجوم والسخط، حتى لقد بدأ الحديث بقوله:

– ليتني لم أشترك في تلك الرحلة المنكودة! فهزت أمه رأسها في حزن موافقة،

فاستطرد قائلا:

ـ وقد جد في الأمر جديد، فقد اتضح فقدان اللآلئ أيضا!

ـ لآلئ "لينيت"؟!

ـ نعم.. يبدو أن بعضهم قد استولى عليها.

ـ ربما كان هذا هو الدافع إلى الجريمة.

ـ ومن يدريك؟ إنك تخلطين يا أماه بين مسألتين منفصلتين تمام الانفصال.

ـ ومن الذي أنبأك أن اللآلئ سرقت؟

ـ "فرجيسون".. وقد علم ذلك عن طريق صديقه مهندس الآلات المدعو "فليتوود"، و "فليتوود" علم بذلك من الخادمة.

ـ لقد كانت لآلئ فاخرة.

وفي هذه اللحظة دخل القاعة السيد "بوارو"، فجلس إلى جانب السيدة "آلرتون" كعادته بعد أن حياها بإحناء رأسه في ظرفه المعهود مع السيدات، ثم اعتذر عن تأخيره بسبب انشغاله، وطلب زجاجة من الشراب بدلاً من زجاجته التي كان الخادم قد وضعها وفيها بقية من اليوم السابق. وقد علقت السيدة "آلرتون" على ذلك بقولها:

ـ إننا كاثوليكيون بمعنى الكلمة.. أما أنت فلا تقلع عن احتساء الشراب مع كل وجبة، في حين يصر ابني على قدح من الشراب بالصودا. أما أنا فتكفيني كاس من المياه المعدنية، فحملق "بوارو" إلى وجهها قليلاً وقد لمعت عيناه، ثم هز كتفيه كأنه يصرف عن ذهنه خاطرا طرأ عليه، ثم شرع يتحدث في موضوعات خفيفة مما يتلهى به الناس وهم جلوس إلى مائدة الطعام. وبعد طبق أو طبقين سأل "بوارو" "تيم آلرتون":

ـ خبرني، هل تشبه الآنسة "جوانا ساوثوود" صديقتك ابنة خالتها المرحومة "لينيت دويل"؟

– لا شبه بينهما مطلقا.. فإن "**جوانا**" صديقة "**لينيت**" وابنة خالتي أنا، لا العكس كما فهمت.

– لقد اختلط عليّ الأمر، فإن خالتك شخصية معروفة يرد اسمها كثيرا في أخبار المجتمعات الراقية، وقد استحوذت على اهتمامي منذ وقت غير قصير. فسأله "**تيم آلرتون**" بشيء من الحدة:

– لماذا؟

ونهض "**بوارو**" نصف نهوض لينحني باحترام لـ "**جاكلين دي بلفور**" التي مرت بمائدتهم في هذه اللحظة في طريقها إلى مائدتها. وكانت وجنتاها متوهجتين، وعيناها لامعتين، وأنفاسها لاهثة في غير انتظام. ولما استقر في مجلسه بعد لحظة، كان يبدو عليه أنه نسي سؤال "**تيم آلرتون**"، وراح يهمس كالمتحير:

– هل كل من لديها جواهر ثمينة تهمل شأنها كما كانت تفعل "**لينيت دويل**"؟ وعندئذ وجدت السيدة "**آلرتون**" الفرصة سانحة فسألته:

– أصحيح إذن أن جواهرها سرقت؟

– ومن أنباك يا سيدتي؟ فتولى "**تيم**" الجواب عنها، فقال:

– إن "**فرجيسون**" هو الذي أنبأها، وعندئذ أمَّن "**بوارو**" على صدق الرواية، وعقبت السيدة "**آلرتون**" على ذلك قائلة في عصبية ظاهرة:

– أعتقد أنه ستترتب على ذلك نتائج سيئة ومضايقات تعمنا جميعًا، كما تنبأ "**تيم**".

– لعلك يا سيد "**تيم**" قد سبقت لك تجربة؟ هل سبق لك أن كانت مدعوًا في بيت عندما حدثت به سرقة جواهر؟

– كلا لم يسبق لي ذلك. فقالت أمه عندئذ بدهشة:

– بل كنت يا عزيزي في قصر آل "**بورتر لينجتون**" عندما سرقت الماسات سيدة القصر.

– إنك دائما يا أماه تخلطين بين الأشياء خلطا لا نظير له، بل كنت هناك يا أماه حينما اتضح أن الألماسات التي كانت تحيط بعنقها ألماسات مزيفة. أما عملية إبدال الألماسات الصحيحة بالمزيفة، فربما كانت قد تمت قبل تلك الليلة بشهور طويلة، بل الواقع أن عددا كبيرا من الحاضرين اعتقدوا أنها هي نفسها التي قامت بذلك الإبدال لتسرق زوجها!

– لعل "جوانا" هي صاحبة هذا الرأي يا بني!

– إن "جوانا" لم تكن هناك.

– ولكنها تعرف هذه المجموعة جيدا.. وأنا أعرفها، وأعرف أنها تظن مثل هذه الظنون الخبيثة.

– الواقع يا أماه أنني لا أدري سببًا لتحاملك الدائم على "جوانا". وأسرع "بوارو" عندئذ في تغيير موضوع الحديث، فتكلم عن أثواب من الحرير القرمزي قد رآها في بعض الحوانيت في "أسوان" قبل ركوب "الكرنك"، وكيف أنه حينما تعود الباخرة إلى "أسوان" يريد أن يشتريها، ويكلف المحل بإرسالها باسمه إلى "لندن" عن طريق البريد، وعَقَّبَ على ذلك بقوله:

– وقد قيل لي إنهم يستطيعون تصديره نظير رسوم غير باهظة، فهل تعتقدان أن البضاعة ستصل سالمة إلى "لندن"؟ فقالت السيدة "آلرتون":

– لقد سمعت من كثيرين أنهم سبق أن أرسلوا إلى "لندن" عن طريق هذه المحلات مباشرة أشياء كثيرة، وأنها وصلتهم كاملة سالمة.

– عظيم.. إذن سالجأ إلى هذه الطريقة، والواقع أن ما يزعج الإنسان ويتعبه حقًّا حين يكون في الخارج هو وصول طرود مُصَدَّرَة إليه من "إنجلترا". فهل سبقت لكم تجربة في هذا الباب.. الم تصلكم من "إنجلترا" طرود منذ غادرتموها؟ فقالت السيدة "آلرتون":

– لا أظن.. هل وصلنا شيء من ذلك يا "تيم"؟ إنك تحصل على كتب من

"**إنجلترا**" في بعض الأحيان. ولكن الكتب تختلف تماما عن غيرها. فقال "**بوارو**" :

– بالتأكيد يا سيدتي.. الكتب لها حالة خاصة، فإن الطرد يكون مفتوحا من أعلى وأسفل، ولا تكون هناك حاجة إلى الفتح والتفتيش لاقتضاء الرسوم كما يحدث هذا في الطرود العادية.

*****

وفي هذه الساعة قُدِّمَت الحلوى في ختام الطعام ونهض العقيد "**ريسي**" فشرح ظروف الجريمة باقتضاب، وأزاح الستار عن سرقة اللآلئ. وأعلن بعد ذلك أن الباخرة يجب أن تُفتش، على أن يبقى الركاب في القاعة إلى أن تتم عملية التفتيش في جميع الكبائن والحجرات، وبعد ذلك يتولى السقاة تفتيش الركاب شخصيًا. فارتفعت على أثر ذلك همهمة ولغط، فأسرع "**بوارو**" وهمس في أذنه بكلمة ثم خرجا معًا، فاستدعى العقيد ساقيًا معينًا وألقى إليه أمرًا موجزًا، ثم خرج الاثنان إلى سطح الباخرة وأغلقا الباب وراءهما. ولم يلبث الساقي أن عاد وقال للعقيد:

– إن هناك يا سيدي سيدة أعربت عن رغبتها في التحدث إليك فورا، وهي الآنسة "**بويرز**" الممرضة.

– أحضرها فوراً، ولا تدع أحداً يغادر القاعة. ولم تلبث "**بويرز**" أن لحقت بالرجلين في صالون التدخين، وفتحت حقيبة يدها وأخرجت منها عقد اللآلئ فوضعته أمام الرجلين فوق المائدة الصغيرة.. فعرتهما دهشة طاغية، وقال "**ريسي**" :

– ما الحقيقة بالضبط؟ هل أخذت هذا العقد من حجرة "**لينيت دويل**"؟ أريد الحقيقة.

– كلا بالتأكيد يا عقيد "**ريسي**".. فالتي أخذته من هناك هي.. "**فان شويلر**"!

– "**فان شويلر**"؟! المليونيرة المتزمتة العجوز؟!

– نعم.. وقد فعلت ذلك بغير إرادتها. فهي مريضة بداء السرقة. وهذا هو سبب

ملازمتي لها ليل نهار في الداخل والخارج. فهي في الواقع ليست مريضة بأي داء يحوجها إلى إشراف ممرضة باستمرار، بل إن مهمتي الأساسية في الواقع هي الحيلولة بينها وبين هذه السرقات المرضية. ولحسن الحظ أنه لم تحدث فضيحة واحدة منذ تعهدت بها؛ لأنها لا تحوجني في الواقع إلى تعب كثير؛ إذ هي تخفي كل ما تسرق في مكان واحد لا يتغير، هو جورب قديم. وفي كل صباح أفتش في ذلك الجورب. كما أنني أبيت دائمًا في الحجرة المجاورة لها، وأنام نوما خفيفًا، وكثيرًا ما أستيقظ قبل أن تتحرك للسرقة ليلا ، وإذا بتنا ليلتنا في فندق أحرص على أن يكون بين حجرتي وحجرتها باب مفتوح. وهي مغرمة باللآلئ غرامًا خاصًّا.

– وكيف اكتشفت هذه السرقة؟

– وجدتها في الجورب هذا الصباح. وكنت أعرف أنها لآلئ "**لينيت دويل**"؛ لأنها لفتت نظرنا جميعًا وهي تلبسها. فهممتُ أن أتوجه إلى مخدعها لأضعها حيث هي قبل أن تستيقظ "**لينيت**" وتتبين فقدانها، وإذا بي أجد خادمًا واقفًا بالباب يفضي إليَّ بنبإٍ مصرعها.. فأسقط في يدي، ولكني عللت النفس بالتمكن من التسلل إلى الكبينة خلسة، ولكنني لم أستطع. وكل رجائي ألا تصل الفضيحة إلى الصحف أو إلى أحد من الركاب؛ لأن أسرة "**فان شويلر**" محافظة جدًّا.. فهل أطمع منكما في تحقيق هذا الرجاء؟

– هذا يتوقف على الظروف.. ولكني أعدك أن نبذل ما بوسعنا. وماذا ستقول "**فان شويلر**" إذا سألناها؟

– إنها تنكر دائمًا.. ولهذا حين أتعقبها ليلا وهي تتسلل من مخدعها، لا يبدو عليها الاضطراب أو الخجل، ولا تقاومني.. بل تزعم أنها كانت خارجة للتطلع إلى ضوء القمر، ثم تعود معي مستسلمة في وداعة الحملان.

– وهل تعلم "**كورنيليا روبسون**" هذا عن خالتها؟

– كلا.. ولكن والدتها تعلم، وقد أخفت الحقيقة عن ابنتها؛ لأنها رأت في

تَنَبُّهي وحرصي الكفاية. وعندئذ شكرها الرجلان فانصرفت، ولكن "بوارو" عاد فاستوقفها عند الباب وسألها:

– هل "فان شويلر" مصابة بمرض القتل اللاإرادي أيضًا؟

– كلا.. إنها لا تؤذي ذبابة، وأقسم على هذا.

– وهل هي مصابة بشيء من الصمم؟

– نعم.. ولكنك لا تلاحظ ذلك وأنت تحدثها عن قرب، لكن يحدث في كثير من الأحيان ألا تسمع صوتك وأنت داخل من الباب ولا تحس بدخولك.

– أتعتقدين أنها يمكن أن تسمع مَن يتحرك في كبينة "لينيت دويل" المجاورة لكبينتها؟

– كلا.. لا أعتقد مطلقًا أنها يمكن أن تسمعه، وبخاصة أن مائدة الزينة في الحائط المقابل للحائط الفاصل بين الكبينتين.

– شكرا لك.. وأرجو الآن أن تذهبي مباشرة إلى قاعة الطعام حيث تمكثين مع الآخرين.

فلما هَمَّتْ بالانصراف قام معها العقيد "ريسي" حتى أوصلها إلى باب قاعة الطعام، وعاد ليجد "بوارو" منهمكًا في تقليب العقد بين يديه، وعندئذ قال له "بوارو":

– إن "فان شويلر" كانت صادقة في جزء واحد من أقوالها، هو رؤيتها "روزالي أوثربورن"، فقد فتحت كبينتها لتتسلل إلى كبينة "لينيت" كي تسرق العقد، فرأت "روزالي أوثربورن".

– أتعتقد إذن أن "روزالي" كانت هناك، وكانت تلقي المسدس في النيل، أي أنها هي القاتلة؟

– إن "روزالي" كانت تلقي فعلا شيئًا في النيل، وهذا الشيء هو صندوق زجاجات الشراب التي ضبطتها، وكانت أمها المدمنة قد خبأته في الكبينة.

وباختصار أفهم "بوارو" العقيد سرَّ "روزالي"، فعقب العقيد على ذلك بإبداء أسفه ثم قال:

– إني لمسرور إذ برئت ساحة هذه الشابة المهذبة، لكن ألم تر أحداً أو تسمع شيئًا وهي في ذلك الموقف؟

– لقد سألتها في ذلك، فصمتت نحو عشرين ثانية.. ثم قالت إنها لم تر أحداً، ولم تسمع شيئًا.

– عجبًا.. فإنه إذا صح أن "لينيت دويل" قد قُتلت بالرصاص حوالي ذلك الوقت، لكان من العجيب ألا يسمع الطلقة أحد؛ لأنه في نحو ذلك الوقت كانت جميع الأصوات في الباخرة قد هدأت، فمهما كان صوت الطلقة ضعيفًا فلابد من أن يفطن إليه أحد. ولما كانت "فان شويلر" تشكو صممًا نسبيًّا، فطبيعي أنها لم تسمع، والكبينة المجاورة لها من الناحية الأخرى، ينام فيها "بننجتون" الوصي الأمريكي.

– نعم يا عزيزي العقيد.. إننا لا نفتأ نعود إلى "بننجتون" بين الحين والحين، لكن دعنا الآن من هذا، ولنقم بتفتيش الكبائن قبل أن يضج الركاب من الانتظار.

– ولماذا نفتش الكبائن يا سيد "بوارو"؟ ألم نعثر على العقد؟

– أتعني هذه اللآلئ؟

ثم تناول العقد وذاق بعض حباته بلسانه، ثم عضها بأسنانه، والعقيد يحملق إلى وجهه مأخوذا، ثم هز كتفيه، ورمى بالعقد فوق المائدة وهو يقول:

– هاك تعقيدات أخرى في القضية يا عزيزي العقيد.. إن هذا العقد تقليد متقن للعقد الثمين الذي لا يزال مختفيًا في مكان مجهول. وغضب العقيد "ريسي" لذلك، فراح "بوارو" يهدئه، ثم قال له:

– إن هذا الاكتشاف يؤدي بنا إلى احتمالين: الاحتمال الأول أن تكون "فان شويلر" قد سرقت العقد المزيف بعد أن سطا اللص على العقد الأصلي، والاحتمال

الثاني أن تكون قصة مرض السرقة من نسج خيال الآنسة "بويرز"، وأن تكون هي السارقة، وكانت من سرعة الخاطر بحيث سلمتنا العقد المزيف.

*****

وبدأ التفتيش على الأثر بكبائن الطابق الأسفل، فكانت الكبينة الأولى هي كبينة السيد "ريشتي". وقد عثر فيها على مؤلفات في الآثار بلغات مختلفة، ومجموعة مختلفة من الملابس، وزيوت للشعر ذات رائحة نفاذة، وخطابين خاصين أحدهما من بعثة للتنقيب عن الآثار في "سوريا"، والآخر من شقيقة له في "روما". وكانت مناديله جميعا من الحرير الملون.

وانتقلا إلى كبينة "فرجيسون"، فإذا مجموعة من الكتب الشيوعية، وصور فوتوغرافية كثيرة، وملابس خارجية ممزقة قذرة، وملابس داخلية من أجود الأنواع وأغلاها، ومناديله من أفخر أنواع الكتان. ولم يعثرا على أوراق أو خطابات من أي نوع، ولكن "بوارو" عثر على خاتم به فص منقوش، راح يتأمله بإمعان قبل أن يضعه مكانه.

وبعد ذلك اتجها إلى كبينة "لويز بورجيه" خادمة القتيل، وهناك وجدا خادما في انتظارهما، أبلغهما أنه لم يوفق في العثور على "لويز" في أي مكان بالباخرة، فالقى "ريسي" نظرة إلى الكبينة فوجدها خالية، فانتقل مع "بوارو" إلى كبائن الطابق الأعلى، وبدأ بكبينة "جيمس فانشورب"، فإذا بكل شيء مرتب في مكانه بدقة وعناية، وجميع ملابسه من نوع جيد، وليست هناك خطابات.

وكانت الكبينة التالية كبينة "تيم آلرتون"، وهي تدل للوهلة الأولى على أن ساكنها كاثوليكي صميم، فهناك صليب على الحائط، ومسبحة كبيرة حباتها من الخشب المنقوش نقشًا دقيقًا غريب الشكل، ومجموعة طيبة من الكتب الإنجليزية التي صدرت حديثا في "بريطانيا"، وكمية كبيرة من الخطابات متناثرة هنا وهناك،

فالقى "بوارو" إليها نظرة. ولاحظ من بينها خطابين من "جوانا"، ثم تناول أنبوبة من السيكوتين قلبها بين أنامله دقيقة أو أكثر قليلا ثم أعادها إلى مكانها، وانصرف "بوارو" والعقيد إلى كبينة السيدة "آلرتون"، فإذا كل شيء نظيف طيب الرائحة مرتب، ولم يجدا شيئا يستحق الذكر من خطابات أو غير ذلك، فانتقلا إلى كبينة "سيمون دويل"، وكانت كل ملابسه الخاصة وأدوات زينته قد نقلت إلى كبينة الدكتور "بسنر"، ولم يسفر التفتيش الدقيق عن العثور على شيء مطلقا له صلة بالجريمة، أو بالسرقة، فانتقلا بعد ذلك إلى كبينة القتيلة، وكانت الجثة قد نقلت إلى غرفة التبريد، ولكن كل شيء فيما عدا ذلك كان على حاله بغير تغيير، فبدأ "بوارو" ينقب ويفحص بكل اهتمام، فجثا على ركبتيه، وراح يفحص الأرض فحصا دقيقا، ثم فحص الفراش، والملابس الداخلية والخارجية، ثم توجه بعنايته إلى حوض المغسل، فإذا معاجين مختلفة، وعطور، وزيوت. ولكن الشيء الذي استأثر بانتباهه دون سواه كان زجاجتين من طلاء الأظافر تناولهما فإذا إحداهما تحمل بطاقة اللون الوردي، وكانت خالية إلا من نقطة أو نقطتين من سائل أحمر داكن. وأما الزجاجة الأخرى التي تماثلها حجما فكانت تحمل بطاقة اللون القرمزي، وكانت ملآنة حتى فوهتها تقريبا.

وفتح "بوارو" الزجاجة الأولى الفارغة، ثم الزجاجة الثانية الملآنة، وشمهما على التعاقب. ثم أعرب عن رغبته في الرجوع إلى الخادمة "لويز" شخصيًّا كي يستفسرها عن نقطة غامضة، وبعد ذلك غادر الرجلان كبينة القتيلة إلى كبينة "فان شويلر"، فإذا مظاهر الترف والغنى بادية، وإذا بها عدد من الأوراق الخاصة والخطابات، وعني بترتيبها.. وليس هناك فيما عدا ذلك شيء يذكر.

وكانت الكبينة التالية هي كبينة "بوارو" نفسه، ومن ورائها كبينة العقيد "ريسي"، فاعرب العقيد عن شكه في أن يخفي اللص العقد في إحداهما. فقال له "بوارو":

- ولم لا؟ لقد كنت ذات مرة راكبا قطار إكسبريس الشرق، ووقعت جريمة سرقة، وكان المسروق شيئا تافها، عبارة عن "إيشارب" من الحرير الأحمر، وقمت أنا بتحقيق هذه السرقة، فأين تحسبني وجدته؟ في حقيبتي المقفلة يا صديقي!

- إذن هيا نرى هل أخفى أحدهم المسروقات عندي أو عندك؟

لكن اتضح أن اللص لم يكن جسورا إلى هذا الحد، فانصرف الرجلان بعد ذلك إلى البحث في حجرة الآنسة "بويرز"، ولكنهما لم يجدا فيها شيئا يثير الريبة. وكانت مناديلها من الكتان العادي وتحمل الحرف الأول من اسمها، وكانت الكبينة التالية هي التي تقيم فيها السيدة "أوثربورن" وابنتها "روزالي"، وقد فحصها "بوارو" فحصا دقيقا لكن بغير طائل.

وانتقل الرجلان بعد ذلك إلى كبينة الدكتور "بسنر"، وكان "سيمون دويل" راقدا فيها وأمامه صينية من الطعام لم تمسسه يده، فطلب رفع الطعام وكان يبدو أسوأ حالا مما كان عليه من قبل. وقد أظهر "سيمون" دهشة شديدة عندما أنبأه "بوارو" أن لآلئ زوجته سرقت، ثم إن الآنسة "بويرز" ردتها بعد ذلك، لكن اتضح أنها تقليد متقن. وقد أكد تأكيدا قاطعا أن زوجته لم تكن لتملك صورة مقلدة لعقدها الثمين، وقال:

- إن "لينيت" كانت تحب هذه اللآلئ حبًّا جمًّا، وكانت تلبسها في كل مكان، وكانت قد أمَّنَتْ عليها، وهذا ما جعلها قليلة الاكتراث لصيانتها من الضياع.

- إذن يجب أن نستمر في البحث. ثم هجم كل من الرجلين على جانب من جوانب الحجرة أحدهما على دولاب والآخر على الحقيبة، فصاح "سيمون" محملقا:

- اسمعا! لا أظنكما على كل حال ترتابان في أن يكون "بسنر" هو الذي اختلس العقد؟

- وماذا نعلم نحن عن "بسنر" إلا ما يذكره هو عن نفسه؟ إن كل شيء في نظر

المحقق الجنائي جائز.

– ولكنه ما كان ليخفي شيئا هنا دون أن أراه.

– تماما ما كان ليخفي هنا شيئا "اليوم" دون أن تراه. ولكننا لا نعلم متى تم إبدال العقد الصحيح بالمزيف. فمن يدرينا أن ذلك الإبدال لم يقع منذ بضعة أيام؟

ومع ذلك فإن البحث لم يسفر عن شيء.

*****

وكانت الكبينة التالية كبينة "**بننجتون**". وقد قضى الرجلان في تفتيشها وقتا غير قصير، وفحصا بعناية حقيبة مليئة بالوثائق والمستندات التي كانت كل ورقة فيها تنتظر توقيع "**لينيت**"، ولكنهما اقتنعا أخيرا بأن الرجل ليس من الغفلة بحيث يترك أية وثيقة تدينه أو تثبت عليه أي تلاعب بعد علمه بمقتل "**لينيت**".

وقد عثرا في أحد الأدراج على مسدس ضخم، فحصه "**بوارو**" ثم أعاده إلى مكانه؛ إذ كان واضحا أن الجريمة لم تقترف بمسدس من ذلك النوع. ولم يجدا بعد ذلك شيئا يلفت النظر فخرجا.

واقترح "**بوارو**" أن يمضي العقيد في تفتيش بقية الكبائن، وهي التي تشغلها "**جاكلين**" و "**كورنيليا**"، وكبينتين خاليتين، في حين يذهب "**بوارو**" إلى كبينة الدكتور "**بسنر**" ليتحدث في نقطة تشغل باله إلى "**سيمون دويل**". وقد تم الاتفاق على ذلك، وما إن دخل "**بوارو**" على "**سيمون**" حتى بادره الشاب قائلا:

– لقد فكرت جيدا.. وإني متأكد تمام التأكيد من أن هذه اللآلئ كانت على ما يرام حتى أمس.

– وما الذي يدعوك إلى ذلك اليقين يا سيد "**دويل**"؟

– لأن "**لينيت**" كانت تتأملها بهيام قبل العشاء مباشرة وهي تحدثني عنها. وأعتقد أنها –وهي الخبيرة في اللآلئ –كانت حرية أن تكتشف الحقيقة لو أن

ما بين يديها كان هو العقد المزيف.

– ربما.. لكن خبرني، هل كان من عادة "**لينيت دويل**" أن تترك هذه اللآلئ بعيدة عن نظرها طويلا، كأن تقرضها لصديقة تتزين بها في حفل أو ما أشبه؟

– الواقع يا سيد "**بوارو**" أنه يصعب عليَّ أن أقطع في هذه المسألة بقول، فإنني– كما تعلم – لم أعرف "**لينيت**" إلا منذ مدة قصيرة، لكن يخيل إليَّ أن "**لينيت**" كانت سخية بما في يدها غاية السخاء، ولهذا يغلب على ظني أنها ربما فعلت ذلك. وعندئذ ازداد صوت "**بوارو**" نعومة وهو يسأله:

– ألم تقرض العقد مثلا لصديقة تعرفها مثل الآنسة "**جاكلين دي بلفور**" قبل أن تتعرف أنت إلى السيدة "**لينيت**"؟

– ماذا تعني؟ هل تقصد أن "**جاكلين**" سرقت اللآلئ؟ إنها لم تسرقها يا سيدي، وأقسم على ذلك. فـ"**جاكلين**" مستقيمة كالسيف صريحة، كما أن مجرد تصورها أنها تتسلل وتسرقه ينطوي على تناقض سخيف.

– ويحي! لقد هيجت بهذه الإشارة عش الزنابير.. لا عليك! ورنت في أذن "**بوارو**" عندئذ كلمة "**جاكلين**" ليلة الالتقاء بها في حديقة فندق "**كتراكت**" بـ"**أسوان**": "أنا أحب "**سيمون**".. و"**سيمون**" يحبني.." وفي هذه اللحظة انفتح الباب، ودخل العقيد "**ريسي**" فقال:

– لم أجد شيئا.. وها هم السقاة قادمون بنتائج تفتيش الركاب، فقد قام بذلك كبير السقاة من الرجال، وكبيرة الخدم قامت أيضا بتفتيش النساء. وتقدم كبير السقاة أولاً، فقال:

– لم نجد شيئا يا سيدي.

– ألم يحاول أحد مقاومة التفتيش أو الزوغان؟

– لقد حاول ذلك يا سيدي الرجل الإيطالي.. وقد ثار وزمجر واعتبر التفتيش إهانة، وكان يحمل مسدسا ضخما من طراز موزر. وبعد ذلك تقدمت كبيرة الخدم، وهي امرأة كبيرة الحجم، ولكنها وسيمة مهذبة، فقالت:

– لم أجد شيئا يا سيدي مع السيدات.. وقد أتعبنني كثيرا بالاحتجاجات

ما عدا السيدة "آلرتون". ولم أجد للآلئ أثرا، لكن عثرت مع الآنسة "روزالي أوثربورن" على مسدس في حقيبة يدها.

– من أي طراز؟

– إنه شيء صغير جدًا يا سيدي، كلعب الأطفال، ومقبضه مرصع باللآلئ. وعندئذ زمجر العقيد "ريسي" قائلا:

– فلتتخطف الأبالسة هذه القضية اللعينة! لقد حسبتها برئت من الريبة وسرني ذلك، لكن.. أترى كل امرأة في هذه الباخرة تحمل مسدسا مرصع القبضة باللآلئ؟ أما "بوارو" فلم يتأثر لما سمع، وسأل كبيرة الخدم بهدوء:

– هل أظهرت شيئا من الاضطراب عندما اكتشفت المسدس في حقيبتها؟

– كلا يا سيدي.. بل إني لا أظنها عرفت أنني رأيته. فقد كان ظهري إلى جهتها وأنا أفتح الحقيبة.

– والخادمة "لويز بورجيه" ما خبرها؟

– لقد بحثنا عنها يا سيدي في كل مكان فلم نعثر عليها. وعندئذ تدخل "سيمون دويل" في المناقشة، وسأل:

– ما هذا؟! ماذا جرى لـ "لويز"؟

– إن خادمة زوجتك قد اختفت؟! فصاح بشيء من الحدة:

– أتقول اختفت؟ فقال له العقيد "ريسي":

– ربما كانت هي التي سرقت الجواهر، فالفرصة متاحة لها أكثر من غيرها لصنع ذلك التقليد المتقن، ثم للقيام بعملية البدل.

– وهل تظنها عندما وجدت أن التفتيش سيضيق عليها الخناق ألقت بنفسها في النيل؟

– مستحيل أن يحدث هذا بالتأكيد في باخرة كهذه وفي رائعة النهار.. لابد من أنها في مكان ما. واتجه بعد ذلك إلى كبيرة الخادمات، فسألها:

– متى شاهدت "لويز بورجيه" آخر مرة؟

– قبل جرس الغداء بنصف ساعة يا سيدي.

– إذن نلقي نظرة أخرى فاحصة إلى كبينتها، فقد يهدينا ذلك إلى شيء.

ومضى الرجلان إلى الطابق الأسفل، فإذا بالوصيفة التي مهمتها ترتيب شؤون سيدتها آية في الفوضى وسوء النظام. فأقبل "بوارو" على فحص الأدراج، في حين انهمك "ريسي" في فحص الحقيبة.

وكانت أحذية "لويز" مصفوفة أمام السرير. ويبدو أن زوجا منها أسود لامعا كان مستقراً في وضع غريب بعض الشيء، فقد كان "البوز" إلى أسفل والكعب إلى أعلى، والحذاء غير مستقر في وقفته تلك على شيء ظاهر. فلفت ذلك الحذاء البهلواني نظر "ريسي"، فأقفل الحقيبة وانحنى فوق هذه الأحذية، وعندئذ انطلقت من فمه صيحة دهشة شديدة، فاستدار نحوه "بوارو" وسأله بالفرنسية:

– ماذا هناك؟ فقال "ريسي" متجهماً:

– إنها لم تختف. فهي هنا.. تحت السرير!

الفصل الخامس عشر

وتحت السرير كانت جثة امرأة ميتة، عرفت وهي على قيد الحياة باسم "لويز بورجيه". وانحنى الرجلان فوقها، ثم كان "ريسي" الأسبق إلى النهوض قائلا:

– لقد ماتت منذ وقت لا يزيد على الساعة إلا قليلا فيما أعتقد. وسأدعو الآن الدكتور "بسنر" لفحصها، وإن كان ظاهرا أنها أصيبت بطعنة في القلب فماتت لتوها، فهذا وجهها متقلصا يبعث الرعدة في الجسم.

وتناول "بوارو" يدها اليمنى بلطف، فظهر بين أصابعها شيء استخلصه وقدمه إلى "ريسي"، فإذا قصاصة من الورق الملون، عبارة عن جزء من ورقة نقد من ذات الألف فرنك، وعندئذ قال "ريسي":

– وضح الآن أنها كانت تعرف شيئا عن القاتل، وكتمته ثم حاولت ابتزاز المال منه بالتهديد، وأظنك يا "بوارو" تذكر أننا لاحظنا عليها الالتواء وهي تدلي بأقوالها.

– يا لنا من مغفلين! ألا تذكر أنها قالت: "ماذا كان يمكن أن أرى وأنا في الطابق الأسفل؟ أما لو أنني صعدت السلم إذن لكان من الجائز أن أرى القاتل داخلا أو خارجا من كبينة سيدتي". هذا ما قالته ياعزيزي بحذافيره. وهذا ما حدث، فقد جفاها النوم فصعدت إلى السطح كي تستنشق الهواء، فرأت.. وأغراها الطمع فكتمت ما رأت، فانتهى بها الطمع إلى هذه الرقدة.

– لكن هذا لا يهدينا إلى القاتل.. قاتلها وقاتل سيدتها من قبل.

– بل نحن نعرف الآن الكثير.. نعرف كل شيء تقريبا يا سيدي العقيد، ولكنني لا أكاد أصدق، ومع هذا لست أرى مناصا من أن يكون الأمر كذلك. فالتهديد هو الدافع لها على كتمان الحقيقة.

– لكن لماذا دفع لها القاتل ما طلبته بالعملة الفرنسية؟

– ربما فاجأت القاتل بالتهديد فاضطر إلى أن يدفع لها كل ما معه من أنواع العملة المختلفة، ومن بينها العملة الفرنسية.

– لكن لماذا قتلها بعد أن أعطاها النقود؟

– لقد أدرك أن التهديد لن ينتهي، وأنه سيكون دائما تحت رحمة هذه الشيطانة.. فانتهز فرصة انشغالها في عد المبلغ للتأكد من مقداره، وطعنها الطعنة النجلاء، ثم راح يجمع نقوده، ولم ينس تلك الورقة التي بقي طرفها بين أصابع القتيل، ولاذ بالفرار بعد ذلك.

– إذن سيسهل علينا التعرف إليه عن طريق هذه الورقة المقطوعة.

– لا أظن ذلك يسيرا يا عزيزي العقيد، فمن كان في مثل ذكائه الذي عهدناه حتى الآن يراجع تلك الأوراق، ويعدم هذا الدليل الذي يقوده إلى المشنقة.

وسرعان ما حضر الدكتور "بسنر" مأخوذا بتلك الجريمة الجديدة، ففحص الجثة على عجل وأيد ما ذهب إليه العقيد "ريسي" من أن الوفاة حدثت منذ أقل من ساعة، فسأله "بوارو":

– وما نوع الأداة التي تمت بها الجريمة؟ فقال:

– هذا فعلا شيء غريب.. إنها آلة دقيقة حادة رفيعة النصل، وأظن أنني أستطيع

أن أريك شيئا من قبيلها. وخرج الدكتور "بسنر"، فتوجه الجميع إلى كبينته وأبرز الدكتور "بسنر" مشرطا طويلا من مشارط الجراحة، وقال:

– بمثل هذه يا سيدي تمت الجريمة، لا بمدية عادية أو سكين من سكاكين المائدة أو المطبخ.

– أليست هناك أداة من أدواتك الجراحية ناقصة؟

– ماذا تريد أن تقول؟ هل تعتقد أنني أنا، أنا، "كارل بسنر"، المعروف في جميع أنحاء "النمسا".. أنا بعياداتي والطبقة العريقة النسب من زبائني ومرضاي، أقتل وصيفة مسكينة؟ هذا شيء مضحك وسخيف! ثم اعلم أنه ليست هناك أية آلة من آلاتي الجراحية ناقصة، فهي هنا جميعا سليمة كاملة في مواضعها المعهودة. وفي مقدورك أن تتحقق من هذا بنفسك، ولن أنسى ما حييت هذه الإهانة التي لحقت بمهنتي الشريفة. ثم أقفل حقيبة الأدوات الجراحية وألقى بها بعيدا فوق سطح الباخرة واستطرد صائحا:

– والآن هل تتكرمان بإخلاء كبينتي، فإنني يجب أن أنصرف الآن إلى عمل الغيار لساق مريضي؟

فتسلل الرجلان خارجين، وزمجر "ريسي" بكلام غير مفهوم، ثم انصرف.. أما "بوارو" فاتجه إلى اليسار. وطرق سمعه وهو سائر طرف من حديث نسوي، وضحكة ناعمة. فقد كانت "جاكلين" مع "روزالي" في حجرة الأخيرة، وكان الباب مفتوحا، والفتاتان واقفتان بقربه.. فلما وقع عليهما ظله التفتتا نحوه، فحيته "روزالي" بابتسامة حيية، فقال لهما:

– هل تغتابان أحدا؟ فقالت "روزالي":

– كلا.. الواقع أننا نعقد مقارنة بين أقلام أحمر الشفاه ولمحت "جاكلين" ابتسامته.. فلم يخف عليها أنها ستار زائف لهَمٍّ دفين، فتركت قلم أحمر الشفاه الذي كان في يدها واتجهت نحوه وهي تقول:

– هل حدث شيء؟ هل جد جديد؟

– الأمر كما تقولين فعلا يا آنسة، فقد جد جديد. وعندئذ خرجت إليه

"روزالي" متسائلة:

– ماذا جرى؟

– جريمة قتل أخرى. فشهقت "روزالي" شهقة شديدة، وبدا في عينيها شيء يشبه الذعر، ولكنه لم يعبأ بذلك وأردف: .

– لقد قتلت وصيفة "لينيت دويل". فصاحت "جاكلين":

– قتلت؟! أتقول قتلت؟ أتعني أنها ماتت؟

– نعم، لقد قتلت.. ويظهر أن هذه الفتاة كانت قد رأت شيئا لم يكن ينبغي لها أن تراه، ولذلك أخرس القاتل لسانها حتى لا تبوح بمعلوماتها الخطيرة. فسألته "جاكلين":

– ماذا رأت؟

– رأت شخصًا يدخل كبينة "لينيت دويل" أو يخرج منها في تلك الليلة المشؤومة، وقد ماتت للأسف دون أن تدلي باسم من رأت. وفي هذه اللحظة سمعت فوق ظهر الباخرة خطوات ظهرت على أثرها "كورنيليا روبسون" وقد اتسعت حدقتاها وفاضتا رعبا، ثم صاحت:

– أواه يا "جاكلين"! لقد حدث شيء هائل! جريمة أخرى. فالتفتت نحوها "جاكلين" ثم سارت معها، فسار "بوارو" و "روزالي" في الاتجاه المضاد، فلما ابتعدا قليلا سألته "روزالي":

– لقد لاحظت وأنت تتحدث أنك كنت تنظر إلى وجهي بإمعان طول الوقت، مع أن التي كانت تسألك هي "جاكلين"، فلماذا كنت تنظر إليّ؟ وماذا كان يدور في ذهنك؟

– هذان يا آنسة سؤالان.. وسوف أجيبك عن سؤال واحد منهما، ولكن جوابي سيكون سؤالا ثالثا: لماذا لا تقولين لي الحقيقة يا آنسة؟

– لست أدري ماذا تعني.. لقد قلت لك كل شيء هذا الصباح.

– كلا.. بل هناك أشياء كتمتها عني. فلم تذكري لي مثلا أنك تحملين في حقيبة يدك مسدسا صغير الحجم مقبضه مرصع باللؤلؤ، ولم تخبريني أيضا من

الذي رأيته في الليلة الماضية وأنت على ظهر الباخرة.. فما جوابك؟ فاحتقن وجهها، وقالت بحدة:

– ليس صحيحا أنني أحمل مسدسا. ثم اندفعت إلى كبينتها وأحضرت حقيبة يدها فوضعتها بين يديه قائلة:

– هذه هي حقيبتي، فتحقق بنفسك. ففتح "بوارو" الحقيبة ولم يجد بداخلها مسدسا، فأقفل الحقيبة وأعادها إليها باسما، وهو ينظر إلى عينيها، فتناولتها ثم قالت:

– هانتذا ترى يا سيد "بوارو" أنك لست معصومًا من الخطإ على شدة ذكائك وقوة فراستك. وكما أن هذه النقطة غير صحيحة، فالمسألة الأخرى التي أشرت إليها غير صحيحة مثلها.

– كلا.. لا أظن ذلك. فدقت الأرض بقدمها غاضبة، وقالت:

– إنك تدفعني إلى الجنون! فما إن تضع في رأسك فكرة حتى تتمسك بها مهما كانت سخيفة.

– لأنني أريد أن أظفر بالحقيقة.

– وما الحقيقة؟ إنك تتصرف كما لو كنت تعرفها أكثر مني، فلماذا تسألني بربك يا سيد "بوارو"؟

– أتريدينني حقًّا أن أقول لك ماذا أبصرت في تلك الليلة..؟

– نعم...

– أعتقد أنك حين درت حول مؤخرة الباخرة وقفت دون قصد منك؛ لأنك رأيت رجلا يخرج من كبينة في منتصف الصف، هي كبينة "لينيت دويل" كما تبين لك في اليوم التالي. وقد رأيته يخرج متسلّلا ويقفل الباب وراءه، ثم يبتعد عن موضعك إلى الناحية الأخرى بابا أو بابين، ثم يدخل كبينة من الكبينتين الأخيرتين في الصف. فهل أصبت يا آنسة؟ فلم تجبه بشيء، فأردف قائلا:

– لعلك تعتقدين أنه من الخير لك ألا تتكلمي، ولعلك أيضا تخشين إذا تكلمت أن تقتلي كما قتلت المسكينة "لويز بورجيه". وخيل إليه أن معركة قد

نشبت في أعماق نفسها، وراء شفتيها المطبقتين، ثم انفرجت هاتان الشفتان، واختلجتا لحظة، ثم قالت:

– لم أبصر أحدا.

الفصل السادس عشر

انتهت عملية الغيار على ساق "**سيمون دويل**"، فخرجت الممرضة "**بويرز**" من كبينة الدكتور "**بسنر**" وهي تسوي كميها بيديها، فتركت "**جاكلين**" صحبة "**كورنيليا**" وأسرعت إليها تسألها عن حالة "**سيمون**"، ووصل "**بوارو**" في تلك اللحظة ليسمع جواب الممرضة أن الحالة ليست منذرة بالخطر، فصرخت "**جاكلين**" قائلة:

– أتعنين أنها سيئة؟

– الحقيقة أننا سنشعر بارتياح كبير حين نصل إلى "**أسوان**" ونضعه بين يدي إخصائي يفحصه بالأشعة، ثم يسلمه إلى جراح للعظام، وللأسف لن نصل إلى "**أسوان**" قبل صباح الغد، وكنا نتمنى لو وصلنا قبل ذلك، ولو أننا نبذل كل ما بوسعنا.

– هل سيموت؟

– كلا يا آنسة "**جاكلين**"، أو هذا على الأقل ما نتمناه، فالجرح في حد ذاته ليس خطيرا، ولكن العقاقير هنا غير متوفرة، ولا يمكن جبر العظام قبل الفحص بالأشعة، يضاف إلى هذا أن الحمى بدأت تنتابه، للصدمات العصبية التي لا تلائم الجرحى، وارتفاع درجة الحرارة علامة غير مستحبة في هذه الأحوال.

وانصرفت الممرضة على الأثر، والدموع تفيض من عيني "**جاكلين**" حتى أصبحت لا تبصر طريقها إلى كبينتها فجعلت تترنح، وإذا بيد تسند ذراعها، فرفعت رأسها لترى "**بوارو**" إلى جوارها، فساعدها على الوصول إلى باب كبينتها، فارتمت فوق السرير والدموع تزيد انهمارا، ثم أخذ جسدها كله يهتز اهتزازا عنيفا

بزفيرها وشهقاتها:

– إنه سيموت.. "سيمون" سيموت. وأنا التي قتلته بيدي! فهز "بوارو" كتفيه وحاول أن يذكرها بانه لا فائدة من التحسر على ما فات، وأن ما كتب قد كتب، ولا داعي إلى التشاؤم.

– ولكني أحبه كثيرا، كثيرا جداً.. فتنهد "بوارو" وقال:

– أكثر مما يجب، لكن يجب ألا تؤخذي بما سمعته من الآنسة "بويرز"، فإن ممرضات المستشفيات يملن دائما إلى تكديس البلايا على رؤوس الناس، وهن دائما متشائمات.. فممرضة الليل تبدي دهشتها حين ترى المريض لا يزال حيًّا عند بداية نوبتها، وممرضة النهار تبدي دهشتها حين تجده قد عاش حتى الصباح! فادمغتهن محشوة باحتمالات المضاعفات والنكسات، وذلك أشبه بمن يقود سيارة وإلى جانبه شخص من هؤلاء الأذكياء الفطناء يقول له بين دقيقة وأخرى: "افرض أن عربة اعترضتك من المنعطف الأيمن، أو افرض أن سيارة النقل التي أمامك غيرت رأيها وأخذت في المشي بظهرها فجاة، أو أن كلبا نهش ذراعك وأنت تخرجه من السيارة للإشارة، أو أن العجلتين الأماميتين انفجرتا، وأخيرا افرض أن الموتور جن جنونه فانفجر، أو أن صاعقة نزلت من السماء، فهذه كلها احتمالات تنجم عنها الوفاة"، ولكن الذي يحدث في الغالب أن شيئا من كل هذه الاحتمالات لا يقع، وأن الرحلة تتم بسلام. فابتسمت "جاكلين" من خلال دموعها وقالت:

– أتراك تحاول تعزيتي يا سيد "بوارو"؟

– كلا.. ولكنني أؤكد لك أن المحنة قد أوشكت على الانتهاء، وأنه بمجرد وصول "سيمون" إلى مستشفى "أسوان" سينال العناية الواجبة ويصبح كل شيء على ما يرام.

– أحقًّا؟.. هل سيشفى سريعًا؟

– نعم نعم.. سيكون كل شيء في النهاية على ما يرام، وستعيشان –كما في الحكايات –وتنجبان البنين والبنات.. أليس كذلك؟ فتضرج وجهها وقالت:

– أؤكد لك يا سيد "بوارو" أنني لم أقصد قط... فهز رأسه هزة العارف،

وتركها وقد اطمأن إلى هدوء نوبتها.. فلما صار على سطح الباخرة ابتدره العقيد "**ريسي**" –وقد كان يتمشى هناك –قائلا:

– أين أنت يا "**بوارو**"؟ عندي فكرة يا رجل!

– عجبا! ما هي؟

– إنها كلمة سمعتها عفوا، عن برقية فضتها "**لينيت**" خطأ وهي تحسبها لها، مع أنها بعنوان "**ريشتي**".

– هذا صحيح.

– ربما لم يقدنا هذا الخيط إلى شيء.. لكن من يدري؟ فلماذا لا نذهب الآن ونستوضح "**سيمون دويل**" عن ملابسات تلك البرقية، فقد كان شاهد عيان؟ هذا إذا أذن لنا صديقنا اللدود الدكتور "**بسنر**". لكن اتضح أن الطبيب كان لا يزال ساخطا.. فحينما طرقا باب كبينته، قال عابسا:

– ماذا تريدان الآن؟ أتريدان رؤية مريضي مرة أخرى؟ ولكنني قلت لكما إن هذا ليس من الحكمة في شيء.. فهو محموم وقد عانى اضطرابا اليوم ما فيه الكفاية بسبب موت زوجته أولاً، ثم موت خادمته ثانيا.

وبعد توسل ووعد بعدم الإطالة، غادر الدكتور الكبينة منذرا بالعودة بعد ثلاث دقائق لا تزيد ثانية واحدة. فتولى العقيد "**ريسي**" شرح الموضوع لـ "**سيمون**"، فقال فوراً:

– نعم أذكر ظروف تلك البرقية جيدا، فقد حدث ذلك ونحن في وادي "**حلفا**"، وقد عدنا فورا من مشاهدة الشلال الثاني، وخُيِّل إلى "**لينيت**" أنها رأت برقية باسمها معلقة على لوحة الرسائل، فقد نسيت لقرب عهدها بالزواج أن اسمها قد تغير من "**ريدجواي**" إلى "**دويل**"، وبالخط السريع الذي تكتب به البرقيات يسهل أن يخلط الإنسان بين "**ريشتي**" و "**ريدجواي**"، ففضت البرقية، ولكنها لم تفهم منها شيئا ولم تميز لها –على حد تعبيرها –رأسا من ذنب، وكانت تبدي لي عجبها وحيرتها حين أقبل "**ريشتي**" من الشاطئ، فانتزع البرقية من يدها وهو يتميز غضبا، فخجلت "**لينيت**" وجعلت تعتذر إليه، ولكنه كان فظًّا جدًّا في رده عليها، حتى

أنها كادت تبكي. فزفر العقيد "**ريسي**" زفرة عميقة وقال:

– وهل تذكر يا سيد "**دويل**" شيئا من الكلمات الغريبة التي وردت في تلك البرقية؟

– نعم فقد قرأت "**لينيت**" جانبا منها عليّ بصوت عال، وقد جاء فيها على ما أذكر... وتوقف قليلا، كأنما ليلتقط نفسه، وإذا بجلبة في الخارج وصوت مرتفع يقترب من الباب وهو يصيح:

– أين السيد "**بوارو**" والعقيد "**ريسي**"؟ يجب أن أراهما فورا! الأمر غاية في الأهمية. لديَّ معلومات خطيرة. هل هما لدى السيد "**دويل**"؟

ولم يكن الدكتور "**بسنر**" قد أغلق الباب، فليس يحجب الكبينة إلا ستارة أزاحتها السيدة "**أوثربورن**" جانبا ودخلت كالقنبلة، وقد احتقن وجهها، وتشعث شعرها، وتداخلت الكلمات على لسانها:

– آه يا سيد "**دويل**"! لقد عرفت من الذي قتل زوجتك! فصاح "**سيمون**" بصوت عال جدًّا:

– ماذا تقولين؟ أتعرفين حقًّا من قتل زوجتي؟ فنظرت السيدة "**أوثربورن**" إلى الرجال الثلاثة نظرة ذات مغزى، ثم جلست أمامهم وقالت:

– لعلك يا سيدي العقيد توافقني على أن اليد التي قتلت الخادمة "**لويز بورجيه**" هي هي التي قتلت "**لينيت دويل**"؟ فقال "**سيمون**" بشوق شديد:

– نعم نعم.. هذا بديهي، وبعد؟

– إذن فكلامي صحيح، وأنا إذن أعرف من الذي قتل "**لينيت دويل**"؛ لأنني رأيت بعيني قاتل "**لويز بورجيه**".

– رأيته بعينيك؟!

– نعم بعيني هاتين.. رأيت الشخص الذي قتل "**لويز بورجيه**" فإذا بالمريض المحموم يصيح بأعلى صوته:

– بربك كفى تمهيدات، وابدئي القصة من بدايتها لا من خاتمتها.

– اطمئن اطمئن.. سأحكي لكم الآن ما حدث بالضبط وبالتفصيل، ثم أخذت

نفسا طويلا وفتحت فمها وقالت:

ــ حدث ذلك وأنا هابطة إلى قاعة الطعام لتناول الغداء، والواقع أنني كنت زاهدة في الأكل، وذلك طبيعي بالنسبة إلى الظروف الدامية التي أحاطت بنا هذا النهار. ولا أطيل عليكم.. فبينما أنا في طريقي تذكرت أنني نسيت شيئا في كبينتي، فطلبت إلى "روزالي" أن تسبقني إلى قاعة الطعام ثم عدت أدراجي إلى كبينتي.

وعندئذ لمعت عينا "بوارو" بضحكة مكتومة؛ لأنه أدرك أنها عادت إلى الكبينة كي تختلس جرعة من الكونياك قبل الغداء. وفي هذه اللحظة أيضا، أزيح جانب من ستارة الباب كأن النسيم هو الذي حركها، فلم يلتفت أحد من الموجودين في الكبينة إلى ذلك، واستطردت السيدة متلعثمة:

ــ والحقيقة أنني كنت قد اتفقت مع بعض خدم الباخرة كي يحضروا إليّ شيئًا لاستعمالي الشخصي، دون علم ابنتي، فإنها حساسة ومثيرة للضجر في بعض الأحيان، ولذلك... وتحركت الستارة مرة أخرى، وبرز فيما بينها وبين الجدار قضيب من الفولاذ الأشهب اللامع، أما السيدة "أوثربورن" فاستطردت:

ــ وكان الاتفاق أن أدور حول مؤخرة الباخرة في الطابق الأسفل حيث ألتقي بالرجل الذي ينتظرني هناك، وبينما أنا سائرة انفتح باب إحدى الكبائن وأطل منه شخص. وكان هذا الشخص هو تلك الفتاة القتيل "لويز بورجيه". وكان يبدو عليها أنها في انتظار حضور أحد، فلما سمعت وقع أقدامي حسبتني هو، ولما تبينتْ خطأها ظهرت عليها أمارات الخيبة، واختفت داخل كبينتها فوراً، ولم أعلق على المسألة أهمية؛ لأنني أولتها التأويل الطبيعي بالنسبة إلى فتاة مثلها، فلما فرغت من مهمتي وعدت، شهدت وأنا عند المنعطف أحدا يطرق باب الفتاة..

وقاطعها العقيد "ريسي" عندئذ قائلا:

ــ وكان هذا الشخص...

ودوت الكبينة فجأة بانفجار، وامتلأت برائحة الدخان، وترنحت السيدة "أوثربورن"، ثم خرت على الأرض لا حراك بها، وقد أخذ الدم يتدفق من ثقب وراء أذنها مباشرة. وتلت ذلك لحظة صمت رهيبة، تسمر فيها كل إنسان في

موضعه وبعدها قفز "ريسي" و "بوارو" واقفين، فانحنى "ريسي" فوقها في حين جرى "بوارو" خارجا، ولكنه وجد سطح الباخرة خاليا، وعلى الأرض عثر على مسدس ضخم، وحملق إليه "بوارو"، ثم تلفت في السطح الخالي وأسرع إلى مؤخرة الباخرة، فإذا به يصطدم عند المنعطف بالشاب "تيم آلرتون" الذي كان قادما بأقصى سرعة من الناحية الأخرى، وصاح "تيم" وهو يلهث:

– ما هذا بحق الشيطان؟!

– ألم تقابل أحدا وأنت قادم؟

– كلا.

– إذن تعال معي. وجذبه "بوارو" من ذراعه وعاد أدراجه ليجد جمعا مكونا من الآنسات "روزالي" و"جاكلين" و "كورنيليا" وقد خرجن مذعورات من كبائنهن. ومن الناحية الأخرى حيث الصالون أقبل "فرجيسون" و"فانثورب" والسيدة "آلرتون". وقال "بوارو" لـ "تيم آلرتون":

– هل معك قفاز حتى أمسك به هذا المسدس؟ فتش في جيبك عن قفاز.

– نعم.. ها هو. فتناول "بوارو" القفاز من يده، فلبسه وانحنى فوق المسدس يفحصه، ثم فحصه العقيد "ريسي". والجميع من حولهما وكأن على رؤوسهم الطير، وقال "ريسي" بعد أن فرغ من فحصه:

– إن القاتل لم يهرب إلى جهة الصالون، فإن "فانثورب" و"فرجيسون" كانا في تلك الجهة، فكان لابد من أن يبصراه في هذه الحالة يا عزيزي "بوارو".

– والسيد "تيم آلرتون" كان يراه لو أنه جرى إلى الجهة المقابلة.

– أظن يا عزيزي "بوارو" أننا رأينا هذا المسدس من قبل، لكن يجب أن نتأكد من ظنوننا أولاً. وطرق "ريسي" باب كبينة "بننجتون" فلم يجبه أحد. وكانت الكبينة خالية، فاتجه "ريسي" نحو الدولاب ففتح أدراجه، ولكنه لم يعثر للمسدس على أثر، فالتفت إلى "بوارو" وقال:

– هذا هو الدليل القاطع.. والآن أين "بننجتون" نفسه؟ وخرجا إلى السطح، وكانت السيدة "آلرتون" قد انضمت إلى المجموعة، فاتجه "بوارو" نحوها بسرعة ثم

قال لها:

– سيدتي، خذي الآنسة "أوثربورن" إلى كبينتك واشمليها برعايتك، فإن والدتها.. قتلت. وقال "ريسي":

– أين "بننجتون" بحق الشيطان؟ ابحثوا عنه.. ألا توجد بصمات على هذا المسدس يا "بوارو"؟

– كلا.. مطلقا.

*****

وبعد قليل عثروا على "بننجتون" في الطابق الأسفل جالسًا في حجرة الجلوس الصغيرة منصرفا إلى كتابة خطابات، فرفع رأسه الجميل التقاطيع وقال:

– ماذا من جديد؟

– ألم تسمع الطلقة؟

– أما وقد ذكرتني الآن، فأعتقد أنني سمعت صوتا يشبه ذلك، لكن لم يخطر ببالي مطلقا أن تكون هناك جريمة جديدة، ومن القتيل هذه المرة يا سيد "بوارو"؟

– السيدة "أوثربورن". فظهر الذهول على وجه الرجل وقال:

– السيدة "أوثربورن"؟! إنك تذهلني.. إنني لا أتصور هذا مطلقا، وفي ظني أن هناك شخصا مجنونا مصابا بداء القتل فوق هذه الباخرة، يقتل النساء خاصة ودون أسباب.

– كم لك من الوقت في هذه الغرفة؟

– حوالي عشرين دقيقة.

– ألم تغادرها في تلك الأثناء؟

– كلا.. لكن لماذا هذا السؤال؟ فحدق "ريسي" إلى وجهه، ثم قال له بصرامة:

– لأن السيدة "أوثربورن" قتلت بمسدسك! فكاد "بننجتون" يصعق، وبدا عليه أنه لا يصدق أذنيه، فقال:

– الحق أن هذه مسألة خطيرة جدًّا!

– خطيرة جداً بالنسبة إليك يا سيد "**بننجتون**".

– بالنسبة إليَّ أنا؟! لقد كنت جالسا هنا منصرفا إلى الكتابة حينما انطلقت تلك الرصاصة الآثمة. ثم هز رأسه كمن يريد أن ينفض عنه حلما مزعجا، وقال:

– لكن.. كيف بالله يمكن أن أصعد إلى السطح العلوي وأقتل هذه المرأة المسكينة؟! ثم لماذا أقتلها وبعد ذلك أهبط إلى هنا دون أن يراني أحد.. والممرات والأسطح زاخرة بالركاب في هذا الوقت من النهار؟ هذا مستحيل.

– وكيف تعلل وقوع الجريمة بمسدسك؟

– الواقع أن الذنب في هذا ذنبي، واللوم يقع على عاتقي وحدي، فقد حدثت مناقشة في أول ليلة من ليالي رحلتنا عن الأسلحة النارية.. وأذكر أنني صرحت في أثنائها أمام الجالسين في الصالون بأنني أحمل دائما في أسفاري مسدسا.

– ومن كان أولئك الحاضرون؟

– لا أستطيع أن أحدد بالضبط.. لكن كان هناك جمع كبير على كل حال، فالذنب ذنبي كما ترى. ثم هز رأسه في حزن ودهشة، وقال:

– أولاً "**لينيت**"، ثم خادمة "**لينيت**"، والآن السيدة "**أوثربورن**"، الواقع أنه لم يكن هناك داع قط إلى تلك الجريمة.

– بل هناك داع يا سيد "**بننجتون**".

– أكان هناك داع حقًّا؟

– نعم.. فقد كانت السيدة "**أوثربورن**" في تلك اللحظة على وشك الإفضاء إلينا بأنها رأت شخصا معينا يدخل كبينة "**لويز بورجيه**" خادمة "**لينيت**"، وبينما هي تهم بذكر اسم ذلك الشخص أطلقت عليها الرصاصة القاضية. فتصبب العرق من جبين "**بننجتون**"، وراح يمسحه بمنديله الحريري وهو يتمتم:

– إن هذا لفظيع! وعندئذ قال "**بوارو**":

– يا سيد "**بننجتون**".. إن لديَّ رغبة تساورني منذ الصباح في أن أتناقش معك في بعض مسائل تتعلق بهذه القضية، ولاسيما أنك صديق قديم حميم للسيدة "**لينيت دويل**"، فهل تتكرم بالحضور إلى كبينتي بعد نصف ساعة؟

– بكل سرور.

ولكن شيئا من السرور لم يكن باديا على وجه السيد "بننجتون"، فتبادل "ريسي" و"بوارو" النظرات، وغادرا الحجرة إلى سطح الباخرة. ولما وصل "بوارو" والعقيد "ريسي" إلى سطح الباخرة خرجت السيدة "آلرتون" من كبينتها، واتجهت إلى "بوارو" قائلة:

– أليست هناك كبينة مزدوجة أقيم فيها مع الفتاة المسكينة؟ فإنها يجب ألا تعود إلى الكبينة التي كانت تشارك فيها أمها، وكبينتي كما تعلم ليس بها سوى سرير واحد.

– أعتقد أن هذا أمر ممكن ترتيبه يا سيدتي.

– شكرا.. فإنني أعطف على هذه الفتاة، فضلا على ما تفرضه ظروفها علينا من رعايتها والعناية بها.

– وهل لا تزال حزينة متأثرة؟

– إلى أقصى حد؛ إذ يبدو أنها كانت شديدة التعلق بأمها، ويعتقد "تيم" أن تلك السيدة كانت تدمن الشراب.. فهل هذا صحيح؟

– نعم للأسف.

– إذن ليس لنا أن ندينها، لكن لا شك في أن الفتاة قد لقيت في العيش معها متاعب كثيرة.

– نعم، هذا صحيح فيما أعلم، فالفتاة شديدة الاعتزاز بنفسها. ولكنها أيضا مخلصة وفية لأمها.

– لا ريب في أن الوفاء هو الصفة الغالبة على هذه الفتاة. وقد أعجبني من هذه الفتاة أن وراء ظاهرها المتحفظ باطنا يزخر بالطيبة والحنان والعطف.

– أحمد الله يا سيدتي على أنني وضعت هذه المسكينة بين أيد أمينة.

– لك أن تطمئن، فإني معنية بها، وهي تتعلق بي تعلقا شديدا يبعثني على مزيد من العناية بها.

وعادت السيدة "آلرتون" بعد ذلك إلى كبينتها، فواصل "بوارو" السير إلى

مسرح الفاجعة، فإذا "**كورنيليا**" لا تزال واقفة مع "**جاكلين**" على سطح الباخرة وقد اتسعت حدقتاها، فبادرته "**كورنيليا**" قائلة:

– ما أزال عاجزة يا سيد "**بوارو**" عن فهم هذه المسألة؛ إذ كيف تسنى للشخص الذي أطلق عليها الرصاص أن يهرب دون أن نراه؟ وقالت "**جاكلين**":

– نعم، كيف حدث ذلك؟!

– هناك ثلاثة اتجاهات يمكن أن يكون القاتل قد سلك أحدها، فليس الأمر غريبا كما تتوهمان. فظهرت الدهشة والحيرة على "**جاكلين**"، وقالت:

– ثلاثة اتجاهات؟ أما "**كورنيليا**" فقالت:

– كان أمامه أن يتجه إلى اليمين، أو إلى اليسار. ولا أرى لهذين الاتجاهين ثالثا. ولكن "**جاكلين**" أجابتها وقد انفرجت أساريرها:

– فهمت ما قصد إليه سيد "**بوارو**"، فهو يعني أن القاتل كان يستطيع القفز من فوق السياج إلى السطح الأسفل.

– لم يخطر لي ذلك.. لكن حتى لو كان خاطف الحركة.. فهل ينفسح أمامه الوقت للقيام بهذه المغامرة دون أن نراه؟ وعندئذ قال "**تيم آلرتون**":

– نعم، فهناك دائما دقيقة على الأقل من الشلل تنتاب الناس بعد سماع طلقة نارية.

– هل هذا ما شعرت به شخصيًّا؟

– نعم، فقد وقفت كالتمثال برهة، قبل أن أتحرك لأرى ماذا حدث. وفي هذه اللحظة خرج العقيد "**ريسي**" من كبينة الدكتور "**بسنر**"، فقال للواقفين:

– أرجو منكم التفرق، فإننا نريد أن نخرج الجثة. وتفرق الواقفون، أما "**بوارو**" فمضى معهم، فقالت "**كورنيليا**" له:

– لن أنسى ما حييت هذه الرحلة. ثلاث قتلى! لكأني أعيش في كابوس مزعج لا خلاص منه. وسمعها "**فرجيسون**" فقال لها بلهجة هجومية:

– ذلك أنك مفرطة في التحضر، وكان يجب أن تنظري إلى الموت كما ينظر إليه

أهل الشرق، فالموت حادث عادي لا يكاد يستلفت النظر.

– إنك تنفر الناس منك بالهذيان بعيوب الحضارة.. ثم إن الموت شيء كريه، وموت كل جميل على الخصوص كارثة وخسارة للبشرية.

– إنك امرأة صعبة المراس، والآن اسمعي يا "**كورنيليا روبسون**"، إنك الأنثى الوحيدة التي حازت إعجابي، فهل تتزوجينني؟

– أنت أحمق!

– هذه خطبة حقيقية، ولو أنها لم تتم بالطريق التقليدي. ولكن لدينا شاهداً هو السيد "**بوارو**"، فاشهد يا سيد "**بوارو**" أنني طلبت يد هذه الأنثى رسميًّا، على الرغم من جميع مبادئي الخاصة؛ لأنني لا أؤمن بالاتصال الشرعي بين الجنسين. ولكنني لا أعتقد أن هذه الأنثى يمكن أن ترضى باتصال عن غير الطريق الشرعي، ولهذا قبلت الوضع الذي تحتمه الظروف.. والآن يا "**كورنيليا**" قولي: "قبلت"!

– إني أعتقد أنك مخبول.

– لماذا بالله لا تريدين أن تتزوجيني؟

– لأنك لست جادًّا.

– أتعنين أنني لست جادًّا في طلب يدك، أو أنني لست جادًّا في طباعي وأخلاقي؟

– أعني الاثنين معًا.. ولكني أعني على الخصوص طبعك وخلقك، فأنت تسخر من كل ما هو جَدي في الحياة من التربية إلى الثقافة إلى.. الموت. فأنت إنسان لا يعتمد عليه. واحمر وجهها ثم أسرعت لائذة بكبينتها، فجعل "**فرجيسون**" يتتبعها بنظراته ثم قال:

– عليها اللعنة! فإني أحسبها تريدني فعلا على أن أكون رجلا يعتمد عليه.. هذا فعلا شيء مزعج.. وما رأيك أنت يا سيد "**بوارو**" في هذه الفتاة؟

– إنها فتاة على جانب عظيم من متانة الخلق.

– أصبت.. فهي ذكية، ويبدو على ظاهرها الوداعة والليونة، ولكنها ليست

رخوة، فإن شخصيتها صلدة لا تعرف اللين، وإني لأريدها بأي ثمن.. ولذلك لست أرى غضاضة في التفاهم مع خالتها العجوز "**فان شويلر**"، فإن هذا هو الطريق السليم.

– أتطمع أن تكسب ود الآنسة العانس "**فان شويلر**" حقًا؟

– أوه.. كلا، أنا لم أفكر في كسب ودها، فذلك جهد لا فائدة منه.. وإنما طمعت أن أثيرها ضدي، فذلك خليق بأن يرقق قلب الفتاة عليَّ. ودار "**فرجيسون**" على عقبيه وانطلق نحو صالون المراقبة حيث كانت "**فان شويلر**" جالسة في ركنها المألوف. وكانت حصتها من العجرفة في هذا اليوم أكبر قليلا من المعتاد، وكانت تحيك الصوف بإبرتين حينما اتجه "**فرجيسون**" نحوها، وفي أعقابه "**هيركيول بوارو**" الذي احتل مكانا متواريًا على بعد منهما وتظاهر بالاستغراق في قراءة مجلة مصورة، وبدأ بين الطرفين الحوار التالي:

– طاب صباحك يا آنسة "**فان شويلر**". فرفعت "**فان شويلر**" عينيها عن الصوف لحظة واحدة لم تزدها، ثم تحولت ببصرها إلى إبرتيها مرة أخرى وتمتمت بفتور:

– طاب صباحك.

– اسمعي.. إني أريد أن أتحدث إليك في أمر على جانب عظيم من الأهمية. فالمسألة بالضبط أنني راغب في الزواج بابنة أختك. فانتفضت كرة الصوف التي في حجر "**فان شويلر**" وانطلقت تجري وتقفز كالمجنونة إلى آخر الصالون، أما "**فان شويلر**" نفسها فقالت بلهجة تقطر سُمًّا ناقعًا:

– لابد من أنك فقدت صوابك أيها الشاب.

– كلا.. فأنا مصمم على الزواج بها، وقد طلبت منها يدها شخصيًا منذ برهة وجيزة. فقالت في برود:

– أحقًا؟ وأخالها قد صرفتك إلى حال سبيلك؟

– لقد رفضتني.. ولكني لن أنصرف عن طلب يدها ولا أبرح عنها حتى تقبل.

– أؤكد لك أنني سأتخذ الإجراءات اللازمة لوقاية ابنة أختي الشابة من مثل هذا

التهجم.

– وماذا يحنقك عليَّ؟.. ماذا لديك ضدي؟ فرفعت "**فان شويلر**" حاجبيها، وجذبت الخيط جذبة قوية تريد أن تسترجع بها الكرة، ولم تنبس بكلمة، فاستطرد:

– هيا خبريني.. ماذا لديك ضدي؟

– أظن أن المسألة غاية في الوضوح يا.. فأنا لا أعرف اسمك.

– "**فرجيسون**". فقالت "**فان شويلر**" بكل استياء وتأفف:

– آه.. يا سيد "**فرجيسون**".. إن الموضوع الذي تشير إليه خارج عن نطاق البحث ولا يمكن أن يكون موضع نظر.

– أتعنين أنني لست كفئًا لها؟

– كنت أعتقد أن المسألة غاية في الوضوح، حتى بالنسبة إليك.

– ولماذا ترين أنني لست كفئًا لها؟ إن لي ساقين، وذراعين، وصحة من فولاذ، وذهنا مرتبا قادرا على التفكير. فما عيب هذه المؤهلات؟!

–هناك شيء اسمه المركز الاجتماعي يا سيد "**فرجيسون**".

– المركز الاجتماعي خرافة قديمة متعفنة!

وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخلت "**كورنيليا**"، فوقفت كالمصعوقة عندما رأت خالتها المرهوبة الجانب تتحدث إلى خاطبها المتهجم. أما "**فرجيسون**" فالتفت نحوها وضحك ملء شدقيه ثم ناداها:

– أقبلي يا "**كورنيليا**" وأبشري، فإنني أطلب يدك للزواج كما ترين على أعتق الطرق التقليدية! فقالت "**فان شويلر**"، وبصوت رهيب حقًّا:

– "**كورنيليا**".. هل شجعت هذا الشاب؟

– أنا.. كلا. بالتأكيد لا.. على الأقل.. ليس بالضبط.

– ماذا تعنين؟ فاسرع "**فرجيسون**" يقول كي يخرجها من المأزق:

– إنها لم تشجعني مطلقًا.. وكل ما هناك أنها لم تقف في وجهي، وأن لها قلبًا رقيقًا حقًّا. وخالتك يا "**كورنيليا**" تقول إنني أدنى منك اجتماعيًّا بكثير.. فهل

هذا رأيك؟ فقالت "**فان شويلر**" :

– هذا فيما أظن بديهي جداً لدى "**كورنيليا**" . فاحمر وجه "**كورنيليا**" وقالت :

– كلا يا سيد "**فرجيسون**" ، ليس هذا رأيي . فلو أنني أحببتك لتزوجتك بلا نظر إلى أي اعتبار .

– ولكنك لا تحبينني؟

– إنني أعتقد أنك مزعج ومثير للسخط . فإن آراءك وأفكارك من أفظع وأقبح وأشأم ما سمعت، وإن لك لزهوا بها لا يعدله زهو في تبجح سخيف! وطفرت الدموع إلى عينيها، فاندفعت خارجة . أما "**فرجيسون**" فقال للآنسة "**فان شويلر**" وهو يضطجع في مقعده وينظر إلى سقف الغرفة ويصفر:

– هذه على العموم بداية لا بأس بها . وسأستمر في مناداتك بخالتي العزيزة! فأخذت فرائص "**فان شويلر**" ترتعد غضبا، وصاحت :

– اخرج من هنا فوراً وإلا ناديت الخادم!

– لقد دفعت ثمن تذكرتي، ولا تستطيعون إخراجي من قاعة عامة، ومع ذلك فإنني سأطيب خاطرك ياخالتي العزيزة .

ووقف ثم راح يتبختر خارجا وهو يصفر، وظلت "**فان شويلر**" بعد ذلك ترتعد، وتحاول الوقوف كي تحضر كرة الصوف، ولكنها لم تستطع لفرط اضطرابها، فخرج السيد "**بوارو**" من عزلته وأسرع إليها بالكرة، فقالت له :

– شكرا لك يا سيد "**بوارو**" ، وأرجو أن تتكرم بإرسال الآنسة "**بويرز**" ، فإنني أشعر باضطراب مما سببه لي هذا الشاب الوقح .

– إنه ملحوس قليلا فيما أعتقد، ومعظم أعضاء هذه الأسرة على شاكلته . . إنه التدليل المفسد للطباع والتربية، وأظنك عرفت شخصيته .

– عرفت شخصيته؟

– إنه يسمي نفسه "**فرجيسون**" ؛ لأنه لا يريد استخدام وحمل لقبه العتيد رعاية لمبادئه المتطرفة . فوضعت "**فان شويلر**" يديها بالصوف في حجرها، وحملقت إلى وجهه قائلة :

– لقبه العتيد؟!

– بكل تأكيد، إنه اللورد "**داوليش**" الشاب، وقد ورث ملايين الجنيهات، ولكنه اعتنق الشيوعية وهو في "**أكسفورد**". وإذا بصفحة وجه "**فان شويلر**" تتحول إلى حلبة معركة تصطرع فيها شتى الانفعالات المتعارضة، فلما استجمعت أنفاسها وبلعت ريقها قالت:

– ومنذ متى تعرف هذه الحقيقة يا سيد "**بوارو**"؟

– لقد رأيت له صورة في بعض الصحف وفطنت إلى الشبه، ثم عثرت في أثناء تفتيش كبينته على خاتم له منقوش على فصه شعار أسرته. والمسألة لا تحتمل الشك.

– أنا مدينة لك بالشكر على هذه المعلومات الثمينة. ثم واتتها عندئذ القوة فنهضت خارجة وقد طفح وجهها المتعجرف بالبشر وأشرق بنور السعادة. وهز السيد "**بوارو**" رأسه مرارا، ثم استغرق في التفكير، وبعد حين دخل عليه العقيد "**ريسي**" فوجده لا يزال جالسًا في موضعه، فقال له:

– والآن يا "**بوارو**" لم تبق إلا عشر دقائق ويحضر "**بننجتون**" لمقابلتك كما طلبت إليه، وسأتركه لك. فنهض "**بوارو**" واقفًا وقال:

– ولكن أرجو أن تُحضر أولا "**فانثورب**" إلى كبينتي. وأسرع "**ريسي**" ليبحث عن "**فانثورب**". أما "**بوارو**" فاتجه نحو كبينته الخاصة حيث وافاه "**ريسي**" ومعه "**فانثورب**" بعد دقيقة أو دقيقتين. فأشار "**بوارو**" إلى مقعد احتله الشاب، وقدم إليه سيجارة وقال:

– والآن يا سيد "**فانثورب**" لندخل في الموضوع.. لقد لاحظت أنك تلبس رباط عنق من النوع الذي يرتديه صديقي السير "**هستنجز**". وذلك النوع من أربطة العنق لا يلبسه في "**بريطانيا**" كل إنسان، بل السادة المهذبون ذوو المكانة والتربية الحسنة. وهناك فيما أعلم تقاليد بين تلك الأوساط، تقضي بفعل أشياء والامتناع عن أشياء أخرى، ومن يلبسون هذا النوع من أربطة الرقبة لا يمكن أن يقحم الواحد

منهم نفسه في حديث خاص مع أشخاص لم يعرفهم، وبغير سؤال يوجه إليه. فدهش "**فانثورب**"، وأردف "**بوارو**":

– لا.. ولكنني منذ أيام رأيتك بنفسي تقدم على هذه الهفوة، وقد كان جماعة من الركاب جالسين في الصالون يتحدثون حديثا خاصًا جدًا في مسائلهم المالية، وإذا بك تتسلل حتى تقف بالقرب منهم، بقصد استراق السمع، ثم إذا بك تتجاوز ذلك إلى توجيه إطراء صريح إلى سيدة هي السيدة "**لينيت دويل**" لما تتمتع به من فطنة في إدارة الأعمال. فامتقع وجه "**فانثورب**" ثم احتقن.. ولكن "**بوارو**" لم يأبه له، بل استطرد:

– والآن يا سيد "**فانثورب**"، لم يكن هذا التصرف مما يتفق مع ربطة العنق التي يرتدي مثلها صديقي السير "**هستنجز**"، فإن السير "**هستنجز**" رجل مهذب لبق يموت خجلا وخزيا، ولا يقدم على مثل ذلك الذي أقدمت أنت عليه، هذه واحدة.. وواحدة أخرى أنك شاب حديث عهد بالمحاماة، فلم تؤسس لنفسك فيها مركزا يسمح لك بقضاء مثل هذه الإجازة الباهظة التكاليف.. ومتى؟ في إبان الموسم القضائي في فصل الشتاء.

يضاف إلى ذلك أنك ملحق بمكتب للمحاماة في الريف، فلا يحتمل أن تكون أتعابك أو مرتبك كافيا لهذه المظاهر، ولا يبدو عليك أثر مرض حديث العهد حتى نقول إنك أتيت إلى هنا للنقاهة عملا بمشورة الأطباء. وقد تساءلت، وهأنذا أسألك: لماذا ولأي غرض قمت بهذه الرحلة النيلية إلى وادي "**حلفا**"؟ فطرح "**جيمس فانثورب**" رأسه إلى الوراء في تحد، وقال:

– إنني أرفض إمدادك بأية معلومات يا سيد "**بوارو**"، وأعتقد أنك لابد في الواقع من أن تكون مجنونا.

– إنني لست مجنونا، بل إني عاقل جدًا. والآن أساعدك قليلا على توضيح موقفك فأقول: أين يقع المكتب الذي تنتسب إليه؟ إنه يقع في "**نورثامبتون**"، وهو مكان غير بعيد عن قصر "**وودهول**". وما موضوع الحديث الذي اجتهدت في

استراق السمع إليه؟ إنه وثائق تمليك وما إلى ذلك، وما الملاحظة التي أطريتها؟ - ولا يفوتني أن أقول إنك كنت مرتبكًا جداً وأنت تفعل ذلك لشعورك بالحرج -إنها ملاحظة من شأنها منع "**لينيت دويل**" من توقيع أية وثيقة دون قراءة. وفوق الباخرة وقعت جريمة قتل، تلتها جريمتان في سرعة فائقة. فإذا أضيف إلى ذلك أن السلاح الذي قتلت به السيدة "**أوثربورن**" هو المسدس الخاص بالسيد "**بننجتون**"، فلعلك ترى من واجبك الآن أن تطلعني على ما لديك من معلومات، مساعدة للعدالة.

- الواقع أن لك طريقة غريبة يا سيد "**بوارو**" في تناول الأمور، وأني مقدر لدقة المسائل التي أشرت إليها، لكن ليس لديَّ مزيد من المعلومات الأكيدة لأضيفه إلى ما لديك.

- أتعني أن ما لديك محض ظنون وشبهات؟

- ذلك ما أعنيه فعلا.

- ولهذا تعتقد أنه من غير المناسب أن تفصح عنها؟ إن ذلك قد يكون صحيحا في ساحات المحاكم ياسيدي المحامي، أما هنا ونحن نقوم بتحقيق للكشف عن سر جريمة، فكل شعاع صغير من الضوء يجب أن ينال حظه من التقدير، حتى نصل إلى اليقين.

- أظنك على صواب.. فما الذي تريد معرفته يا سيد "**بوارو**"؟

- ما الدافع لك للقيام بهذه الرحلة؟

- إن خالي السيد "**كار مايكل**" هو المحامي الإنجليزي الذي يتولى قضايا "**لينيت دويل**" في "**بريطانيا**". وهو الذي أرسلني في هذه الرحلة؛ لأنه لاحظ في المدة الأخيرة أشياء بعثته على الارتياب في الوصي الأمريكي السيد "**بننجتون**"، فلما تزوجت الآنسة "**لينيت**" بالسيد "**سيمون دويل**" فجأة، وبدأت فوراً رحلة شهر العسل في طريقها إلى "**مصر**"، اطمأن خالي إلى أنه بمجرد عودتها إلى "**إنجلترا**" ستتسلم أموالها من يد أوصيائها، وفي ذلك قضاء على ما كان يساوره من شكوك.

ولكنه تسلم خطابا من "**لينيت دويل**" بعثته إليه من "**القاهرة**"، وردت فيه عرضا إشارة إلى أنها التقت مصادفة هناك بوصيها الأمريكي السيد "**بننجتون**"، فثارت شكوك خالي من جديد، ورسخ في ذهنه أن "**بننجتون**" ربما أقدم على هذه الرحلة المريبة مدفوعا باليأس الذي أوقعه فيه زواج السيدة المفاجئ. وخشي -بل أيقن- أن تلاعبه وسوء إدارته للتركة سينكشف، ومن شأن اليائس أن يُقدم على عمل جنوني فلا يتورع عن شيء، وأحب خالي أن يتبين الحقيقة، ولم يشأ أن يرسل في هذه الرحلة شخصًا تعرفه السيدة، فوجد من الأصوب أن يرسلني أنا بالطائرة، وأعطاني تعليمات مشددة بوجوب الحذر والحيطة وعمل كل ما بالوسع للحيلولة بين "**بننجتون**" والحصول على توقيعات من "**لينيت دويل**" على وثائق بغير فحص كاف. هذا كان سبب حضوري، وهو أيضًا سبب هذا المسلك الذي أشرت إليه. والواقع أنني اضطررت إلى ذلك وأنا في أشد حالات الارتباك والحرج، ولكني غير نادم؛ لأنني ظفرت بالثمرة التي كنت أرجوها.

– أتعني أنك وُفِّقت إلى تحذير "**لينيت**"؟

– ليس هذا بالضبط، فلم تكن في الواقع محتاجة إلى مزيد من التحذير أو الحيطة، ولكني بملاحظتي نبهت "**بننجتون**" إلى أن هناك من يقف له بالمرصاد، وبذلك غير خطته وعدل عن الحصول على توقيعاتها، وكنت أعتزم في الواقع القيام بتحذير واضح ولكن تبين لي أن "**بننجتون**" له منزلة خاصة تشبه الأبوة لدى "**لينيت دويل**"، فقام بذهني أن أتصل لهذا الغرض بـ "**سيمون دويل**"؛ لأنه أسهل تناولا من زوجته.

– والآن هل لك أن تجيبني عن سؤال شخصي بحسب رأيك وتقديرك؟ إذا أراد نصَّاب أن يفوت شيئا على آل "**دويل**"، فمن الذي يختاره فريسة سهلة؟ أهو السيد "**سيمون دويل**"؟ أم زوجته؟

– السيد "**دويل**" بالتأكيد.. فقد كانت "**لينيت دويل**" حصيفة حريصة، أما زوجها فهو ساذج يجهل أصول إدارة الأعمال ولا يمتنع عن التوقيع حيث يطلب

منه دون مناقشة أو تمحيص.

– هذا رأي صائب.. وذلك فيما أظن دافع حسن إلى القتل.

– ربما، لكن ليس لديك دليل.

– بل يمكننا الحصول على الدليل.

– ممن؟ وكيف؟

– من "**بننجتون**" نفسه.

– إني أشك في هذا كثيرا.

– إننا ننتظر قدومه الآن على كل حال يا سيد "**فانشورب**". فادرك "**فانشورب**" مغزى هذه الإشارة، واستأذن منصرفا، وبعد دقيقتين ظهر السيد "**أندرو بننجتون**"، والابتسامة تملأ صفحة وجهه، ولكنها كانت ابتسامة متكلفة، وبعد أن حيا، جلس ثم تطلع إلى "**بوارو**" والعقيد "**ريسي**" متسائلا، فقال "**بوارو**":

– لقد طلبنا إليك الحضور يا سيد "**بننجتون**"؛ لأنه من الواضح أن لك مصلحة كبيرة في هذه القضية، فأنت تعرف "**لينيت دويل**" فيما أعتقد منذ كانت طفلة.

– الحقيقة أنني عرفتها –كما قلت من قبل– من نعومة أظفارها.

– وهل كنت صديقا صميما لوالدها؟

– بلا ريب كنا على اتصال وثيق وصداقة متينة.

– إلى درجة أنك عُيِّنت في وصيته وَصيًّا على ابنته وعلى ثروتها الطائلة؟

– هذا كله صحيح إجمالا.. ولكني لم أكن الوصي الوحيد بالتأكيد، بل كان معي في تلك المهمة شركاء.

– ماتوا جميعا بعد ذلك.. وبقيت أنت وحدك.

– مات اثنان منهم، وبقي على قيد الحياة السيد "**روكفورد**".

– شريكك في المكتب وفي التجارة؟

– نعم.

– وأعتقد أيضًا أن الآنسة "**لينيت ريدجواي**" لم تكن قد بلغت سن الرشد حين

تزوجت فجأة؟

– إنها لم تكن لتبلغ الحادية والعشرين إلا في تموز (يوليو) المقبل.

– ولو سارت الأمور على ما هي عليه لما حق لها أن تتسلم ثروتها قبل ذلك التاريخ؟

– نعم.

– ولكن زواجها المفاجئ غيَّر مجرى الأمور وقلب الأوضاع.

– بربكما ما هذا الذي تهدفان إليه من كل هذه الأسئلة؟

– إنك رجل ذكي يا سيد "**بننجتون**"، فهناك مسألة الدافع إلى الجريمة، ولا يمكن إغفال الاعتبارات المالية عند معالجتها.

– إن وصية "**ريدجواي**" تنص على أن تتسلم "**لينيت**" ثروتها عند بلوغها الحادية والعشرين، أو بمجرد زواجها إذا تزوجت قبل ذلك التاريخ بلا قيد ولا شرط.

– وثروتها تقدر بالملايين فيما أعتقد؟

– نعم تقدر بالملايين.

– واعتقد يا "**بننجتون**" أن مسؤولياتك أنت وشريكك كانت ثقيلة جداً في هذه السنوات؟

– نحن متعودان المسؤولية في عملنا، فلا يركبنا بسببها القلق.

– إني لأعجب مما تقول!

– ماذا تعني بحق الشيطان؟

– إن عجبي راجع إلى تقديري أن ذلك الزواج المفاجئ لابد من أنه قد أحدث ارتباكا في خطط مكتبك.

– إن أعمال المكتب على أكمل وأضبط وجه.

– ألم يتملكك الانزعاج عندما وصلت إليك أنباء زواج "**لينيت ريدجواي**"، حتى أنك أقلعت بأول باخرة إلى "**مصر**" حيث تصنعت الالتقاء بها على وجه المصادفة؟

– إن ما تقول لهو الهذيان بعينه يا سيد "بوارو"! فإنني لم أكن لأعلم بزواج "لينيت" قبل وصولي إلى "القاهرة"، ولذلك دهشت دهشة تامة، ولابد من أن خطاب "لينيت" وصل إلى "نيويورك" بعد سفري، وقد حُوِّل إليَّ فتسلمته بعد أسبوع في "القاهرة".

– تقول إنك حضرت على ظهر الباخرة "كارمانك"؟

– هذا صحيح.

– وإن الخطاب وصل إلى "نيويورك" بعد إقلاعها منها؟

– لقد كررت هذا مرارا من قبل.

– إن هذا لمن أعجب العجب! فإن حقائبك لا تحمل أية بطاقة من بطاقات "كارمانك"، بل بطاقات الباخرة "نورماندي" التي أبحرت من "نيويورك" بعد إبحار "كارمانك" بيومين! فظهرت الحيرة على وجه "بننجتون"، وبدأ يترنح.. فاستطرد "بوارو" قائلا:

– لا جدوى من الإنكار .. أنت إذن قد تسلمت خطاب "لينيت ريدجواي" في "نيويورك".

– يبدو أنه ليس أمامي الآن إلا التسليم، فقد غلبني ذكاؤكما على أمري، ولكن الواقع أنه كانت لديَّ دوافع كافية لسلوك هذا المسلك أيها السادة.

– ونحن على أشد ما نكون من الشوق إلى معرفة هذه الدوافع.

– يسؤوني في الواقع أن أقول إنني لاحظت في المدة الأخيرة شيئا من الاضطراب المريب في أعمال "لينيت" التي يتولاها محاميها في "إنجلترا"، وعللت النفس بقرب بلوغها سن الرشد، ولكنني فوجئت بذلك الزواج المباغت برجل إنجليزي مجهول، فعولت على اكتشاف الحقيقة بنفسي، بغير إزعاج لـ"لينيت"، ولم أجد من اللائق أن أقحم عجوزا مثلي على شهر عسل شابين لأسباب مالية بعيدة كل البعد عن ذلك الجو العاطفي، ولم يهدني تفكيري إلى خير من هذه الطريقة في اصطناع المصادفة، فدوافعي جميعًا نزيهة بعكس ما ذهبتما إليه.

– الحقيقة يا سيد "**بننجتون**" أننا لا نصدق حرفا واحداً من كلامك!

– تصدقان أو لا تصدقان.. سيان!

– إننا نعتقد أن زواج "**لينيت**" المفاجئ أطاش صوابك لاضطراب إدارتك المالية لتركتها، فقررت الحضور على عجل للبحث عن مخرج لك بأي شكل، وفكرت في الحصول على توقيعها على وثائق أعددتها لهذا الغرض، معتمدا على أن انشغالها بشهر العسل سوف يمنعها من التدقيق في الاطلاع على الوثائق قبل التوقيع، فلما خاب أملك افتعلت سقوط الصخرة ونحن على الشاطئ أمام معبد "**أبي سنبل**" كي تسحقها، ولكنها نجت بأعجوبة.

– أنت مخبول!

– وقد سمحت لك ظروف أخرى بالقضاء على "**لينيت دويل**" في أثناء العودة من وادي "**حلفا**" بحيث تُلقى الشبهة على شخص آخر. وقد ثبت لنا يقينا أن مسدسك هو الذي انطلقت منه الرصاصة التي قتلت سيدة وهي على وشك الإفضاء باسم قاتل "**لينيت**"، ثم "**لويز**". وعندئذ ثارت ثائرة "**بننجتون**" وصاح:

– ما هذا الهذيان؟ وأي سبب يدعوني إلى قتل "**لينيت**"؟! إنني لا أطمع في أن أرثها حتى أقتلها، بل يرثها زوجها، فلماذا لا تأخذان بخناقه؟

– إن "**سيمون دويل**" لم يغادر الصالون طول السهرة التي قتلت في خلالها زوجته، ثم بعد ذلك رقد سائر الليل مكسور الساق محقونا بالمورفين في كبينة الدكتور "**بسنر**". ولهذه الاعتبارات جميعًا يستحيل أن يكون هو قاتل زوجته. وأنت إذا استخدمت ذكاءك وكنت في مكاني يا سيد "**بننجتون**"، وجدت أن الزوج الوارث الطيب القلب الذي يوقع الأوراق دون تمحيص أسلس قيادا من الزوجة الذكية الحصيفة. فمن مصلحة الوصي المتلاعب المختلس المبدد أن تموت الزوجة ويرث الزوج مالها ليوقع الأوراق التي ما كانت لتوقعها هي، وبذلك يحصل الوصي على تسوية لحساباته تنقذه من السجن والإفلاس، وإن كانت نتيجتها خسارة قد تصل إلى مئات الألوف تتحملها تركة "**ريدجواي**"، ويضاف إلى ذلك أن "**سيمون**

دويل" يجهل كل شيء عن أعمال زوجته المتشعبة وممتلكاتها، فهو خليق بأن يطلق يدك في إدارة التركة كما كنت. وعندئذ هز "**بننجتون**" كتفيه، ثم قال:

– أقسم أنني تعثرت، فإذا الحجر يسقط بالمصادفة، وليس هناك أي إثبات ضدي.

– ربما. فنهض وقد عاوده شيء من التجلد، ثم خرج.

الفصل السابع عشر

ما إن انصرف "**بننجتون**" حتى تطلع العقيد "**ريسي**" إلى وجه "**بوارو**"، وقال له:

– ألديك فكرة عما يجب أن نعمله بعد ذلك؟

– نعم.. فلدينا أولاً ما حدث في حديقة "**أسوان**"، ثم شهادة "**تيم آلرتون**"، ثم زجاجتا طلاء الأظافر، ثم زجاجة الشراب الخاصة بي، ثم الشال القطيفة، ثم المنديل الرخيص الذي به أثر الطلاء الأحمر، ثم المسدس الذي ترك في مكان الجريمة، ثم وفاة "**لويز**"، ثم وفاة السيدة "**أوثربورن**".

– وبناء عليه؟

– بناء عليه لم يقترف "**بننجتون**" أية جريمة يا "**ريسي**"!

– ماذا تقول؟

– أقول إن "**بننجتون**" لم يقترف الجريمة.. أجل كان لديه دافع قوي، وكان لديه رغبة قوية وصلت به إلى حد المحاولة أمام معبد "**أبي سنبل**"، لكن إلى هنا وينتهي دوره، فإن اقتراف هذه الجريمة كان يلزم له شيء لا يتوافر لدى "**بننجتون**".

– وما هو؟!

– تحتاج هذه الجريمة إلى جسارة ووقت وسرعة ودقة في التنفيذ وحيطة وشجاعة وعدم مبالاة بالخطر وإحكام للخطة، وصاحبنا "**بننجتون**" ليست لديه هذه

الصفات. فإذا قدرنا أن الجريمة لم تكن مأمونة العاقبة، بل محفوفة بالخطر مهددة بالافتضاح في أية لحظة ولأي سبب خارج عن إرادة مرتكبها، عرفنا مبلغ حاجة مدبر الجريمة لاتصافه بالشجاعة.. وليس "**بننجتون**" بالرجل الشجاع المقدام.

– يخيل إليَّ يا "**بوارو**" أن القضية كلها أصبحت واضحة ومرتبة في ذهنك، أليس كذلك؟

– أظن ذلك، فيما عدا بعض ثغرات.

– ما هي؟

– أعني تلك البرقية التي قرأتها "**لينيت دويل**".

– أي والله، لقد نسينا أن نسأل "**سيمون**"، بل إنه كان على وشك أن يخبرنا بمضمونها حينما اقتحمت علينا الغرفة السيدة "**أوثربورن**" المسكينة، فيجب أن نعيد سؤاله.

– لكن يجب أولا أن أتحدث إلى "**تيم آلرتون**" فورا. وما هي إلا لحظات حتى كان العقيد قد عثر على "**تيم آلرتون**" وجاء به، فقال له "**بوارو**":

– إن كل ما أريده منك الآن أن تصغي إلى ما أقول.

– إذن.. فقد وجدت مَنْ تريد، فإني أحسن خَلق الله إصغاءً.

– عظيم، والآن لنبدأ.. حينما التقيت بك وبوالدتك في "**أسوان**" راقتني صحبتكما كثيرا؛ لأنني أولا وجدت في والدتك شخصية من ألطف الشخصيات التي التقيت بها في حياتي، لكن كان هناك سبب آخر لمداومة الجلوس معكما، هو أن إشارتك إلى إحدى السيدات في تلك المقابلة الأولى قد أثارت اهتمامي، وأعني بها الآنسة "**جوانا ساوثوود**".

ولعلك تتساءل: لماذا أهتم بها؟ الحقيقة هي أنني في السنوات الثلاث الأخيرة عرفت أن حوادث سرقة للجواهر الثمينة قد وقعت في مجتمعات "**لندن**"، وقامت لها إدارة "**اسكتلنديارد**" وقعدت، واتضح أن هذه السرقات تقوم بها عصابة، وبوسيلة لا تتغير، قوامها إبدال الجواهر الثمينة بشبيهة بها متقنة التقليد، وتدل جميع الظروف على أن من يقومون بهذه العمليات أشخاص ممن يحتلون مراكز

اجتماعية طيبة، ثم اتجهت ظنون صديقي كبير المفتشين الجنائيين إلى الآنسة "جوانا ساوثوود"، فقد كان جميع ضحايا هذه السرقات إما من أصدقائها أو معارفها.

واتضح في جميع الأحوال ان الآنسة "جوانا" إما أن تكون قد تناولت الجواهر المسروقة قبل ذلك بيدها لمشاهدتها، أو تكون قد استعارتها بعض الوقت، وتبين أيضا أن مستوى معيشتها ونفقاتها يتجاوز طاقة دخلها الخاص بكثير، لكن كان واضحا أيضا أن عملية الإبدال نفسها لا تتم بيدها شخصيًا، ففي بعض الأحوال يتفق غيابها عن "إنجلترا" في المدة التي لابد من أن تكون عملية الإبدال قد تمت فيها، وشيئا فشيئا تكونت صورة تامة لهذه العمليات في ذهن صديقي كبير المفتشين.

وبمقتضى هذه الصورة تكون الآنسة "جوانا" عضوا في جماعة "تعاونية" لسرقة الجواهر عن طريق الإبدال. فهي التي تتيح للشركاء تقليد الجواهر ذلك التقليد المتقن، أما عملية الإبدال نفسها فيقوم بها عضو آخر من أعضاء العصابة، يكون من الثابت المقطوع به أنه لم يمسس الجواهر الأصلية، ولكن صديقي كبير المفتشين لم تكن لديه أية معلومات تحدد له شخصية ذلك الشريك المجهول.

وقد لفتت نظري في حديثك سقطات، منها الخاتم الذي فقدته تلك السيدة في جزيرة "ماجوركا"، وإنك كنت حاضرا في الحفلة التي اكتشفت فيها حقيقة جواهر إحدى السيدات، وكيف إنها جواهر مزيفة، فإذا أضيف ذلك إلى صلتك الوثيقة بالآنسة "جوانا" رغم نفور والدتك الظاهر منها، وإنك تضيق بصحبتي، وكثيرا ما ضغطت على والدتك كي تصدني.. فقد حاولت أن أستشف ما وراء ذلك، وإذا بنا نعلم بعد مقتل "لينيت دويل" أن لآلئها الثمينة قد سرقت وحل محلها تقليد متقن لها، فاتجه ذهني إليك، وعلمت أنك أنت الذي قمت بهذه العملية بعد أن زودتك الآنسة "جوانا" بالعقد المزيف.

وتريث "بوارو" برهة وهو يحدق إلى "تيم"، فإذا بالشاب وقد اكفهر وجهه حتى حاكى وجوه الموتى، ولكنه تحامل على نفسه وساله:

– وإذا كان ذلك صحيحا.. فماذا صنعت بالعقد الصحيح؟

- لست أجهل ماذا صنعت به، هناك مكان واحد تستطيع أن تخفيه فيه، وقد هداني تفكيري إليه، فهذه اللآلئ يا سيد "**آلرتون**" مخبأة داخل حبات المسبحة ذات الحبات الخشبية الكبيرة المجوفة المنقوشة المعلقة في كبينتك، وقد استعنت بأنبوب السيكوتين الموجود لديك كي تتم تلك العملية، وقد حرصت وأنا أفتش الحجرة على أن أبحث عن الوسيلة التي أرسلت إليك بها الآنسة "**جوانا ساوثوود**" العقد المزيف، فعثرت بكتاب ضخم وصل إليك بالبريد الأخير من "**لندن**"، وقد نقبت صفحاته نقبا كبيرا من وسطها، فصارت كالصندوق المحكم، وقد تأكدت من الحديث معك ومع والدتك أن الكتب تصلك بالبريد دون أن تفتحها الجمارك؛ لأنها تكون مفتوحة من أعلى وأسفل عند الشحن. وساد الصمت لحظة، ثم بلع "**تيم**" ريقه وقال بصوت متحشرج:

- لقد كانت الخطة محكمة، وكانت تؤتي ثمارا طيبة باستمرار، ولكنك هتكت أستارها أخيرا، ولم يبق أمامي إلا أن أتجرع دوائي.

- لكن هل تدري أنك شوهدت تلك الليلة؟

- ماذا تقول؟ من الذي شاهدني؟

- شاهدك إنسان وأنت خارج من كبينة "**لينيت دويل**" تلك الليلة بعد الساعة الواحدة صباحا.. فقفز "**تيم**" مرتعدا وهو يقول:

- لا أظنك تتهمني بقتلها؟ أقسم لك أنني لم أقتلها، لقد كنت في أشد حالات العذاب منذ علمت بمصرعها، وكنت أسب سوء طالعي الذي جعلني أختار تلك الليلة من دون الليالي جميعا لإتمام العملية، يا إلهي! كم قاسيت!

- أصدقك.. لكن أريد منك أن تساعدنا ما دامت الحقيقة قد عرفت.. فهل كانت السيدة "**دويل**" حية أم ميتة حين كنت في كبينتها؟

- لست أدري، وأقسم بالله إنني لا أدري، فقد تسللت إلى موضع الجواهر بغاية الخفة فاختلستها، ووضعت العقد الآخر في مكانها وأنا أظن بالتأكيد أنها نائمة.

- وهل سمعت تنفسها؟ أنت بالتأكيد حاولت أن تتسمعه، فهل سمعته؟

فجعل "تيم" يفكر قليلا، ثم قال:

– كان الصمت سائدا إلى أقصى حد، كلا، لا أذكر أنني سمعت تنفسها وأنا هناك.

– هل كانت هناك رائحة كرائحة الدخان في جو الحجرة؟

– لا أظن.. لا أذكر.

– إذن نحن للأسف لم نتقدم في بحثنا.

– لكن من الذي رآني تلك الليلة خارجا من هناك؟

– "روزالي أوثربورن".. فقد كانت على سطح الباخرة من تلك الجهة حين رأتك تخرج من هناك وتتسلل إلى كبينتك.

– إذن هي التي وشت بي.

– كلا.. إنها لم تفعل.

– إذن كيف عرفت؟

– لأنني "هيركيول بوارو"، فلا حاجة بي إلى أن يخبرني أحد، وعندما واجهتها بما عرفت أصرت على الإنكار.

– لكن لماذا؟!

– ربما لأنها ظنت أن الذي رأته هو القاتل، وهي معذورة في ذلك الظن.

– وهذا سبب أدعى لأن تخبرك عني.

– يظهر أن هذا ليس رأيها في المسألة. فهز "تيم آلرتون" كتفيه ثم قال:

– لقد أوقعتني في الفخ، وستجد اللآلئ حيث ذكرت، ولكني لا أعترف على الآنسة "ساوثوود" بأي شيء، وليس لديكم أي دليل ضدها، أما كيف حصلت على العقد المزيف، فذلك شأني وحدي.

– تصرف سليم كريم.. ولكن انتظر لحظة حتى أبعث في طلب الآنسة "روزالي أوثربورن"، نعم لا مناص من هذا. وبعد لحظة كانت "روزالي" قد حضرت وقد تورمت عيناها من كثرة البكاء، فلما أبصرت "تيم آلرتون" هناك اتسعت حدقتاها

بعض الشيء، ثم جلست تنقل بصرها بين **"بوارو"** و **"ريسي"**، ثم قال **"بوارو"** :

– اضطررنا إلى إزعاجك للأسف الشديد كي نستوضح بعض النقط، فعندما سألتك هل رأيت أحدا في تلك الليلة أجبت بالنفي، ولكنني تمكنت لحسن الحظ من الوصول إلى الحقيقة عن غير طريقك، وقد اعترف السيد **"آلرتون"** بأنه كان في كبينة **"لينيت دويل"** في تلك الليلة، أليس كذلك يا سيد **"آلرتون"**؟ وعندئذ صاحت **"روزالي"** مأخوذة:

– ولكنك لم.. لم...

– نعم، لم أقتلها، أنا لص، ولكنني لست قاتلا، وسيفتضح كل شيء بعد قليل، فلا ضير في أن تعرفي أنت أيضا، لقد كنت أسرق جواهرها، هذا هو تخصصي. وعندئذ قال **"بوارو"** :

– إن رواية السيد **"آلرتون"** تقوم على أنه تسلل تلك الليلة إلى مخدع السيدة **"دويل"**، فأخذ العقد النفيس ووضع مكانه عقدا مزيفا يشبهه كل الشبه، وتتفق هذه الرواية مع شهادتك وشهادة الآنسة **"فان شويلر"** –من حيث التوقيت –اتفاقا جزئيًّا، فالاتفاق خاص بوجوده في ذلك الوقت هناك، لكن ليس هناك دليل على غرضه من تلك الزيارة المريبة، فمن يدرينا أنه لم يقتل السيدة **"دويل"** في سبيل الحصول على جواهرها، وربما فعل ذلك مضطرًّا؛ لأنها تنبهت لوجوده، فهناك فرض لا بأس به نظريًّا، خلاصته أنه ربما شهد خلسة منظر المشاجرة بين **"جاكلين دي بلفور"** و **"سيمون دويل"** في الصالون، فلما سنحت الفرصة التقط مسدسها من تحت المقعد واقترف به الجريمة. فشحب وجه **"تيم آلرتون"** وكاد يغشى عليه، فأردف **"بوارو"** موجها الحديث إليه:

– ولكن فتاة رأتك، فتاة أخرى غير الآنسة **"أوتربورن"**، هي الخادمة **"لويز"**، وفي الصباح ذهبت إليك وهددتك بالفضيحة إذا لم تدفع إليها مبلغا كبيرا، فتظاهرت بالقبول ووعدتها بزيارتها في كبينتها عندما يدق جرس الغداء، وذهبت إليها بالمبلغ.. وبينما هي تحصيه طعنتها في قلبها فقتلتها، بيد أن سوء الحظ

لازمك، فقد رأتك امرأة أخرى وأنت خارج من كبينة الخادمة، هي السيدة "أوثربورن" . وتحتم عليك مرة أخرى أن تبادر بالعمل قبل أن تبلغ هذه السيدة عنك، وكنت قد سمعت من "بننجتون" أنه يحمل معه في جميع أسفاره مسدسا ضخما، فأسرعت إلى كبينته واستوليت على المسدس ووقفت تتسمع عند باب كبينة الدكتور "بسنر" ، وفي اللحظة المناسبة صرعت السيدة "أوثربورن" برصاصة صائبة. فصرخت "روزالي أوثربورن" :

– كلا.. كلا، إنه لم يقتلها، ليس هو القاتل.

– ثم أقدمت بعد ذلك على المسلك الوحيد الذي كان أمامك أن تسلكه: فقد درت حول مؤخرة الباخرة، فلما جريت أنا في ذلك الاتجاه، درت على عقبيك وتصنعت أنك قادم من الجهة الأخرى، وكنت قد أطلقت المسدس بقفاز كان في جيبك في ذلك الوقت، فأخرجته عندما طلبته منك.

– أقسم بالله العظيم أنه ليس فيما قلت حرف واحد صحيح! وعندئذ فطنت "روزالي" إلى الحقيقة، فهدأت روع "تيم" قائلة:

– هذا بالتأكيد غير صحيح، والسيد "بوارو" يعرف هذا، ولكنه يقول ذلك الكلام لغرض في نفسه.

– الحق أن الآنسة شديدة الذكاء.. فأنا أعلم فعلا أن هذا غير صحيح، لكن أليس هذا الفرض معقولا وكفيلا بالإطباق على عنقك يا "تيم آلرتون"؟ والآن سأقول لك شيئا لم تسمعه من قبل: إنني لم أفحص مسبحتك حتى الآن، وربما إذا تركتك الآن ربع ساعة أو نحو ذلك وذهبت لأفحصها لم أجد بداخلها شيئا، ولما كانت الآنسة "روزالي" لا تزال مصممة على أنها لم تر أحدا تلك الليلة، فقد انهدمت جميع الأدلة التي تدينك، وسيقال إن الشخص الذي سرق اللآلئ سيدة عجوز مصابة بداء السرقة، وأن الجواهر قد أعيدت بسلام إلى هذا الصندوق الذي قد يروقك أن تأخذه معك أنت والآنسة كي تفحصا العقد الذي بداخله معا في الربع الساعة القادمة خارج هذه القاعة! فوثب "تيم آلرتون" وصاح:

– شكرا لك! لقد منحتني فرصة الحياة! وبسرعة البرق جذب "روزالي" من ذراعها وحمل الصندوق الصغير ثم خرجا من القاعة، فلما صارا وحدهما قال "تيم" لـ "روزالي" :

– إن الرجل طيب القلب جداً، وعندما نعيد هذا الصندوق إليه سيكون بداخله العقد الصحيح بدلا من هذا العقد المزيف.

– لكن لماذا فعلت ذلك؟

– الفراغ والسأم.

– ولكنك لن تقدم على ذلك مرة أخرى.

– بالتأكيد.. لكن لماذا أبيت أن تذكري أنك رأيتني؟

– لأنهم قد يظنونك القاتل.

– أو لم تظني أنني القاتل؟

– كلا.. ما ظننت لحظة أنك تقتل أحدا.

– صدقت.. فلست قاتلا ضاريا، بل سارقا جبانا. فوضعت يدها فوق فمه وقالت:

– لا تقل ذلك. فقبل تلك اليد، وقال:

– أنت تعرفين من أنا، فأنت وحدك المطلعة على السر، فهل تقبلين.. أنت تعرفين ماذا أعني؟ أم تراك ستحتقرينني؟

– ولماذا أحتقرك؟ إن كلا منا يحمل عيوبه فوق جبينه، ومن منا لا ذنب له ولا وصمة؟ ولكن هذه المدعوة "جوانا"؟

– إنك كوالدتي في هذا الأمر، هي تظن أن بيننا شيئا، مع أن كل ما بيننا صلة عمل انقطعت منذ الآن.

– لا لزوم لأن تعرف والدتك عنك شيئا.

– لست أدري.. إذ يخيل إليَّ أنني يجب أن أكاشفها بالحقيقة، وهي خير من يحتمل الصدمات بشجاعة، وسيسرها أنني قطعت علاقاتي بـ "جوانا"، وسيسرها

أكثر من ذلك أن تتأكد أنها كانت علاقات عمل ليس إلا.

وفي ربع الساعة التالي كانت "**روزالي**" قد أفضت إلى السيدة "**آلرتون**" بخطبتها إلى "**تيم**"، فراحت السيدة العجوز تقبلها بسرور؛ لأنها كانت قد تعلقت بها كثيرا، أما "**تيم**" فكان معتكفا في حجرته منكبًّا على استخراج حبات العقد النفيس وإعادتها إلى مكانها من الصندوق.

الفصل الثامن عشر

أخذ "**بوارو**" يقنع العقيد "**ريسي**" – بعد أن تركهما وحدهما "**تيم آلرتون**" و"**روزالي**" – بالإغضاء عن ذلك التساهل الذي تورط فيه مدفوعا بعطفه على "**روزالي**" التي أصبحت ولا معين لها في الحياة ولا سند، وكان يعلم أنها تحب ذلك الشاب حبًّا تكتمه عن جميع الناس. فقال له "**ريسي**":

– دعك من هذا.. إنني أعتقد أنك تعرف من هو القاتل.. ولكنك تمتحن صبري امتحانا عسيرا.. أو لست تعرفه بربك؟

– بل أعرفه.. ولكني أريد أن أستوثق أولا بشكل قاطع.

– هيا بنا نستعرض النتائج.. فلدينا أولا من الدلائل ما يؤكد أن "**بننجتون**" ليس هو القاتل، وهو كذلك ليس "**آلرتون**"، وهو ليس "**فليتوود**".. فمن هو إذن؟

وبينما كان "**بوارو**" يفتح فمه ليجيبه دوى طرق قوي على باب الحجرة، ثم دخل الدكتور "**بسنر**" ومعه "**كورنيليا**" التي صاحت:

– لقد عرفت الآن فقط من الآنسة "**بويرز**" بمأساة خالتي وإصابتها بما يسمونه داء السرقة، فعظم ذلك على نفسي وقد دفعها إلى مصارحتي أنها لم تعد تستطيع احتمال المسؤولية وحدها، ولم أصدقها في مبدإ الأمر، ولكن الدكتور تفضل فشرح لي الموضوع شرحا علميًّا وافيا مبينا صلة هذا المرض باختلال الأعصاب، ولكني مشفقة أن تذاع هذه الوصمة، فلا يستطيع أهلي رفع رؤوسهم بعد ذلك

أمام الناس. فقال "ريسي" وهو ينظر إلى "بوارو" بنظرة جانبية:

– لقد قررأينا على تكتم هذا الموضوع، فاطمئني.. ولن يذاع على الناس إلا ما يتصل بجرائم القتل. وعندئذ قال الدكتور "بسنر" بلطف لم يعهد فيه:

– إن لها قلبا رقيقا جداً.

– أوه يا دكتور، ليس لي قلب رقيق، ولكن حسن ظنك وجميل رأيك. وتضرج وجهها حياء، فنظر إليها "بوارو" بخبث وقال:

– ألم تري "فرجيسون" في الساعات الماضية؟

– كلا.. ولكن خالتي حدثتني كثيرا في الساعة الماضية عن مزاياه، فهي تقول إنه عريق المنبت.

– وما رأيك أنت؟

– رأيي أنه إنسان مخبول! فاتجه "بوارو" إلى "بسنر" وسأله عن حال مريضه "سيمون دويل"، فقال له:

– إن حرارته قد ارتفعت شيئا ما، ولكن بنيته القوية ستساعده ولا شك على المقاومة، وإن كانت "جاكلين دي بلفور" شديدة القلق عليه لغير داع، وقد طمأنتها، وإني لأعجب في نفسي من هذه الفتاة التي تطلق الرصاص على رجل في لحظة، ثم يجن جنونها قلقا عليه في اللحظة التالية.

– ما دامت حالته مطمئنة، فليس هناك ما يمنع إذن من توجهنا إليه لاستكمال الأسئلة التي فاجأتنا السيدة "أوثربورن" قبل أن نتمها، حين كنا معه في آخر مرة.. فقد كان بصدد إطلاعنا على مضمون تلك البرقية.

– لا مانع عندي طبيًّا، وهي فعلا برقية مضحكة كان يحدثني عنها منذ قليل، تتضمن هذيانا مضحكا عن بطاطس وخرشوف وبنجر. فقفز "ريسي" واقفا وصرخ:

– يا إلهي!.. إن "ريشتي" هو ضالتي! هو المتآمر الدولي، فهذه هي الشفرة الدولية الجديدة لتلك العصابة الخطيرة. فالبطاطس كناية عن الديناميت.

والخرشوف كناية عن الرصاص. والبنجر كناية عن المسدسات. ولا شك في أنه صمم على قتل "لينيت دويل" لأنها فضت تلك البرقية خطأ وقرأت محتوياتها؛ لأنه أيقن أن حياته في خطر إذا باحت بها، وهي برقية تلفت النظر وتستحق الرواية ولو على سبيل التندر، فما قولك في هذه النظرية يا "بوارو"؟ أليس هو رجلنا؟

– إنه رجلك أنت.. وقد كنت دائما أرتاب في هذا الشخص؛ لأنه كان لا يتحدث إلا عن الحفريات، وذلك يوحي بأنه يمثل دور عالم الآثار في إصرار شديد غير طبيعي في العلماء الحقيقيين، لكن ليس "ريشتي" هو الذي قتل "لينيت دويل"، فإني أعرف القاتل.. لكن لا أمل عندي في إثبات التهمة عليه ما لم أستدرجه إلى الاعتراف. فقال الدكتور "بسنر":

– ولكن الاعتراف يكاد يكون معجزة مستحيلة الوقوع.

– لا شيء يستحيل على "هيركيول بوارو".

– فمن هو القاتل؟

– إنني أيها السادة ممثل لا يقدم روائعه إلا أمام جمهور، والحقيقة يا جمهوري العزيز أنني كنت غبيًّا، فقد سمحت لذلك المسدس الصغير المرصع أن يحيرني ويضللني. وكان سبب حيرتي أن المسدس قذف به في النيل ولم يتركه القاتل في مكان الجريمة، ما دامت خطته قائمة على إلقاء الشبهة على "جاكلين" صاحبة ذلك المسدس، وقد افترضت شتى الحلول لهذه المعضلة، ما عدا الحل الصحيح الوحيد الذي كان آية في البساطة.. فالقاتل لم يترك المسدس بل أخذه معه بعد القتل مباشرة؛ لأنه كان لابد له من ذلك. وهذه هي الحقيقة التي ستظهر فيما بعد.

*****

ومال "بوارو" فوق صديقه العقيد ثم قال:

– لقد بدأنا البحث يا صديقي وفي ذهننا فرض معين، وهو وجود شخص ثالث عدا "جاكلين" و"سيمون" من مصلحته القضاء على "لينيت" مع إلصاق التهمة

بـ"**جاكلين**"، ولكن تلك النظرية كانت خطأ محضا. لماذا؟ لأنه إذا صح ذلك لوجب القول إنّ القاتل لم يدبر الجريمة من قبل؛ إذ إن استخدام مسدس "**جاكلين**" ما كان ليتيسر لولا إطلاقها الرصاص على "**سيمون**"، وذلك شيء من المستحيل التنبؤ به قبل وقوعه. وظروف هذه القضية توحي بأنها مدبرة تدبيرا محكما وليست من ارتجال الساعة، حتى لقد احتاج تدبيرها إلى تخدير "**هيركيول بوارو**" نفسه. فقد نمت في هذه الليلة نوما عميقا ليس من عادتي، وكان تخديري أمرا سهلا؛ لأنني أجلس إلى مائدة آل "**آلرتون**"، وهما لا يشربان النبيذ، في حين أحتسي أنا النبيذ باستمرار. ويضاف إلى ذلك أن إلقاء المسدس في النيل قد خلق لنا مشكلة كبيرة، لم يلبث أن حلها العثور عليه.

فكلنا نذكر أن جثة "**لينيت دويل**" كانت بها حروق حول ثقب الرصاصة تقطع بأن فوهة المسدس كانت لصق جلدها وأن الفوهة لم تكن مغطاة بشيء. ولما عثرنا على المسدس وجدناه ملفوفا في شال الآنسة "**فان شويلر**"، وبالشال ثقوب حولها حروق تدل على أن المسدس قد أطلق من داخل طيات الشال، وقد عللنا ذلك بالرغبة في كتم الصوت. إذن فالرصاصة التي أطلقت من داخل طيات الشال وأحدثت به الحروق، ليست هي التي أطلقت على "**لينيت دويل**" وأحدثت برأسها الحروق، وهذه الرصاصة أيضا ليست هي التي أطلقتها "**جاكلين**" على ساق "**سيمون دويل**" فقد كان هناك شاهدان للحادث لم يقررا أن المسدس الذي أطلقته "**جاكلين**" كان ملفوفا بشال، إذن فهناك رصاصة ثالثة أطلقت من ذلك المسدس. فلماذا، وعلى من أطلقت؟

وهناك نقطة أخرى.. فقد وجدت في مخدع "**لينيت دويل**" زجاجتين من طلاء الأظافر من لونين مختلفين جدًّا، ففحصت الزجاجة التي تكاد تكون خالية، وهي من لون مخالف للون الذي تصبغ به "**لينيت**" أظافرها، فإذا بالنقطتين اللتين فيها عبارة عن قليل من حبر الكتابة الأحمر، ولم يكن هناك داع إلى أن تخفي "**لينيت دويل**" الحبر الأحمر في زجاجة طلاء الأظافر، وفي وسعها أن تشتري زجاجة حبر

بغير حاجة إلى تستر، فإذا ربطنا بين الحبر الأحمر وبين بقية الطلاء الأحمر الذي ظل علقا بالمنديل الرخيص الذي وجد المسدس في قاع النيل ملفوفا به من داخل الشال، استنتجنا أن ما كان يصبغ المنديل هو ذلك الحبر الأحمر، لأن الحبر الأحمر إذا أصاب نسيجا لم يفارقه مهما نقع في الماء، بل يبقى له أثر.

وننتقل بعد ذلك إلى مقتل "**لويز بورجيه**"، فنجدها قد قتلت ولا شك على أثر محاولتها ابتزاز المال بتهديد القاتل، وإني أذكر جيدا أنها تفوهت وهي تلقي بشهادتها بألفاظ ملتوية، وكان ذلك على مسمع من مخدومها "**سيمون دويل**" في كبينة الدكتور "**بسنر**"، قالت لي: "كيف كنت أرى القاتل؟ ما كان ذلك ليحدث اللهم إلا إذا أرقت وصعدت السلم في تلك اللحظة فرأيته داخلا أو خارجا". وإذا بـ"**سيمون**" يهدئ أعصابها ويفهمها أن أحدا لا يتهمها بأنها رأت شيئا. ولا شك في أنها بذلك الأسلوب الملتوي كانت تريد أن تلمح للقاتل أو لمن له به صلة أنها رأته وأنها ستتكلم إذا لم تقبض الثمن، ولم يكن أحد حاضرا فيما عداي أنا والعقيد والدكتور إلا مخدومها "**سيمون**".. فأينا المقصود بذلك التلميح؟ فصاح "**بسنر**" حانقا:

– ما هذا؟ أمحاولة أخرى لإهانتي؟ فجعلت "**كورنيليا**" تربت ذراعه وتؤكد له أنه ليس المقصود، وأردف "**بوارو**" بسرعة:

– وقد ترددت طويلا بين "**سيمون دويل**" والدكتور "**بسنر**" ولكن ما مصلحة الدكتور "**بسنر**" في قتل "**لينيت دويل**"، لكن يقابل ذلك أن هناك أكثر من شاهد أجمعوا على أن "**سيمون دويل**" لم يغادر الصالون إلى أن أطلقت "**جاكلين**" الرصاص، وعلى أنه حمل إلى كبينة الدكتور "**بسنر**" بعد ذلك حيث استقر مهيض الساق، فلابد إذن من أن الدكتور "**بسنر**" هو القاتل، ولا سيما أنه من الثابت أن "**لويز**" قتلت بطعنة من مشرط من مشارط الجراحة. لكن ردني عن هذا الاتهام أن الخادم "**لويز**" كانت تستطيع أن تختلي بالدكتور "**بسنر**" في أي وقت فهو كثير الدخول والخروج، ولم تكن بها حاجة إلى التلميح بهذا الأسلوب الملتوي

في تلك اللحظة بالذات. فلابد إذن من أن هذه كانت فرصتها الوحيدة، لماذا؟ لابد من أن الشخص المقصود لايمكنه مبارحة الغرفة ولا سبيل إلى اختلائها به خلسة للمساومة.. أي أنه "**سيمون دويل**" على وجه التحديد، ولذلك بادر "**سيمون**" بتطمينها، إشعارا لها بأنه فهم الإشارة، ومستعد للتفاهم. فصرخ "**بسنر**" :

- هذا هذيان، فإذا كنت أغضب لاتهامك إياي مدفوعا بالحرص على كرامتي، فإنني أغضب أيضا لاتهامك "**سيمون دويل**" مدفوعا بالحرص على عقلي ومنطقي ومعلوماتي الطبية؛ إذ كيف تريد من رجل بعظام ساقه كسر مضاعف أن يذهب فيقتل ثم يعود دون أن يراه أحد؟ لقد كان مستحيلا أن يغادر فراشه تلك الليلة.

- أعلم هذا.. ولكن هذا هو الواقع، وسترى: فعلى ضوء مقتل "**لويز بورجيه**" رحت أراجع الجريمة منذ البداية. فتذكرت أن "**سيمون دويل**" بقي وحده في الصالون عشر دقائق كاملة، هي الوقت الذي انصرف فيه "**فانثورب**" و "**كورنيليا**" إلى توصيل "**جاكلين**" إلى كبينتها وتهدئتها ومحاولة منعها من إلقاء نفسها في النيل، فهل كان من الممكن أن يقترف "**سيمون**" جريمته في تلك الفترة؟ ويؤيد هذا الفرض أنه كان يعرف موضع المسدس. وليس هناك ما يمنع من أن يكون قد اتفق مع "**جاكلين**"، فرفست المسدس عمدا، وإطلاقها الرصاص قرينة نافعة لإبعاد الشبهة عن "**سيمون**"؛ لأنه ما من عاقل يتصور قدرته على الجري وهو مكسور الساق، وقد رأى الشاهدان انطلاق الرصاصة، كما رأوا المنديل الملوث بالدم.

ولكن إذا أكملنا الحلقة فإن إطلاق الرصاص لم يكن عملا طائشا من "**جاكلين**" التي تجيد الرماية باعترافها، بل كان الهدف هو "ساق مائدة" من موائد الصالون لا ساق "**سيمون**"، وكان "**سيمون**" قد أعد الحبر الأحمر في زجاجة طلاء الأظافر فسكبه في جيبه على المنديل، ثم أخرج المنديل بسرعة فوضعه فوق ساقه وراح يتظاهر بالصراخ ويتلوى، وفي الوقت نفسه بدأت "**جاكلين**" نوبتها العصبية، وأخذت "**سيمون**" النخوة فاستنجد بـ "**كورنيليا**" و "**فانثورب**" أن يكتما الفضيحة، وأن يعنيا بـ "**جاكلين**" أولا كي يطمئنا على حمايتها من التهور،

بوضعها تحت رعاية الممرضة الآنسة "بويرز"، كي يتوافر لـ"**جاكلين**" بذلك دليل بُعدها عن الجريمة المدبرة.

وتلك الترتيبات تتيح لـ "**دويل**" عشر دقائق يسرع فيها بالمسدس المرفوس إلى كبينة زوجته فيقتلها. وقد فعل ذلك حافي القدمين، ثم أخرج زجاجة طلاء الأظافر الخالية فوضعها حيث وجدناها؛ لأنه أدرك أن تضميد جرحه ستصحبه عملية إبدال الملابس، ولا ينبغي أن يعثر الطبيب على تلك الزجاجة في جيبه. وكان عليه أيضا أن يتخلص من المنديل، وهو في الوقت نفسه كان قد اختلس شال الآنسة "**فان شويلر**"، فعاد بسرعة إلى الصالون وأدخل المسدس بين طيات الشال، ثم أطلقه على ساقه، كي يكتم الشال الصوت، ثم فتح النافذة التي وراء ظهره وتحامل على نفسه وقد كتم الألم حتى وصل إلى النافذة وألقى بالمسدس ملفوفا في الشال والمنديل إلى النيل. وقد وجده الدكتور مستندا إلى النافذة بحجة استنشاق الهواء حتى لا يغمى عليه.

وبذلك امتنع عليه أن يترك المسدس في مخدع زوجته، والحقيقة أن إحكام الجريمة على هذه الصورة يرجع إلى ذكاء "**جاكلين**" النادر، وكنتُ قد أدركت منذ البداية أنها لا تتورع عن شيء في سبيل الظفر بحبيبها، وكنت أيضا أرى من معاملة "**سيمون**" لزوجته أنه يبالغ في إظهار عواطفه المزعومة نحوها أمام الناس، وذلك غير مألوف في الرجل الإنجليزي. وفي ليلة الحديقة بـ"**أسوان**"، عندما كانت "**جاكلين**" تقول إنها تتمنى أن تقتل "**لينيت**" بمسدس تغرسه في لحم رأسها، وكان المسدس في يدها، زعمت أنها رأت شبحا يسترق السمع، وقد تأكدت أنه لم يكن أحد يسترق السمع. إذن هي قد زعمت ذلك لتضللني فيما بعد عندما تقع الجريمة، فينصرف ذهني إلى أن القاتل كان هو ذلك المتلصص، وقد فحصت حجرة الصالون، فوجدت الرصاصة الصغيرة مستقرة في ساق إحدى الموائد.

- لكن من قتل "**لويز**"؟

- قتلتها "**جاكلين**"! فإن "**سيمون**" حين سمع تهديدات "**لويز**" طمأنها، ثم

طلب مني أن أدعو "**جاكلين**" لمقابلته كي يطمئن عليها، وتركتهما معا.. فأفضى إليها بتهديد "**لويز**" وكلفها بالاتصال بها، وقامت "**جاكلين**" بالمهمة على أتم وجه مزودة بمشرط من مشارط "**بسنر**" التي كان "**سيمون**" يعرف مكانها جيدا بطبيعة الحال، ثم غسلت المشرط وأعادته إلى مكانه، وشاء سوء طالعها أن تراها السيدة "**أوثربورن**"، خارجة من كبينة "**لويز**"، وكانت "**جاكلين**" تتوقع خلو الطريق ساعة الغداء، فلما أسرعت السيدة "**أوثربورن**" إلى كبينة الطبيب لتبلغنا معلوماتها المثيرة مزهوة بها، راح "**سيمون**" يسألها بصوت عال جداً، كي يصل صوته إلى "**جاكلين**" التي كان يعلم أنها في الكبينة المجاورة مع الآنسة "**روزالي**". فتنبهت وتحيرت ماذا تصنع، وفي هذه اللحظة تذكرت أن "**بننجتون**" كان قد صرح أمام الجميع بانه يحمل مسدسا ضخما، فبادرت إلى كبينته وعادت بالمسدس، ووقفت تنصت وراء ستارة الباب. وفي اللحظة المناسبة ضربتها. وقد قلت أنا عن الطريق التي سلكها القاتل إنها غامضة، والواقع أن كبينة "**جاكلين**" كانت تبعد عن كبينة الدكتور "**بسنر**" كثيرا، فلم يكن أمامها سوى أن تقفز فوق الحاجز إلى السطح.

– ولكن مسدس "**جاكلين**" لم تنطلق منه إلا رصاصتان فقط.

– لقد فكرت في كل شيء بالتفصيل، وأحضرت معها رصاصة إضافية وضعها "**سيمون**" في المسدس قبل أن يطلقها على نفسه. والآن عليك يا سيدي الدكتور أن تعد مريضك القاتل لمواجهة الموقف.

لقد كان "**بوارو**" مصيبا في كشف هذه الحقيقة، والوصول إلى معرفة القاتل، فإن "**سيمون**" قد تآمر مع حبيبته "**جاكلين**" على سلب أموال "**لينيت**" بطريقة شرعية، فتظاهر بحبها وتزوجها وهو يعلم أنها إذا ماتت أو قتلت آلت ثروتها إليه، فينعم بها مع عشيقته "**جاكلين**" التي دبرت معه هذه المؤامرة الغريبة.

*****

الخاتمة

وصلت الباخرة "**الكرنك**" إلى مرساها ببلدة الشلال جنوبي "**أسوان**" مع بواكير أشعة الفجر. وكان "**بوارو**" يتأمل منظر الصخور البارزة من مياه النهر عندما وافاه "**ريسي**" قائلا:

– لقد أعددت لكل شيء عدته.. وسيكون "**ريشتي**" أول من ينزل إلى الشاطئ، وفي يديه الأغلال الحديدية، وإني لسعيد بالقبض على ذلك المتآمر الدولي الخطر والسفاح الأثيم.

– لا تنس أن "**سيمون دويل**" ظن، أول الأمر، أن "**جاكلين**" هي التي اعترفت لنا فلم يجد بُدًّا من الاعتراف.

– إنه يستحق الشنق.. فهو نذل خسيس، ولكني آسف لمصير الفتاة؟

– إنها امرأة خطرة، لا تبالي بالعواقب. وعندئذ أقبلت عليهما "**كورنيليا روبسون**" فقالت:

– لقد كنت معها، أعني مع "**جاكلين**".. فإنني أشفقت عليها من ذلك الحبس الذي لا تفارقها فيه كبيرة الخدم. وفي هذه اللحظة أقبلت الآنسة "**فان شويلر**"، فصاحت بابنة أختها في غضب:

– لقد أخطأت خطأ شائنا بالجلوس مع هذه المرأة، ولهذا سأبعث بك فورا إلى الوطن.

– ولكنني لست عائدة إلى الوطن يا خالتي بكل أسف؛ لأنني سأتزوج!

– إذن فقد أصغيت لصوت العقل أخيرا؟

– لقد أسأت فهمي يا خالتي، فليس "**فرجيسون**" هو الذي سأتزوجه، بل الدكتور "**بسنر**" الذي طلب يدي. وفي هذه اللحظة ألقت الباخرة مراسيها، وضُرب حول الركاب نطاق، ثم طُلب إليهم أن يتريثوا فلا ينزلوا. وسيق "**ريشتي**" وهو شاحب الوجه إلى الشاطئ. وبعد برهة جيء بنقالة فحملوا عليها "**سيمون**

دويل"، وكان يبدو كالموتى، وقد ارتسم الفزع على كيانه وفارقته ملاحته المشهورة كأن لم يكن لها وجود. وتبعته "**جاكلين دي بلفور**" وتراجعت قليلا فحمل الحمالون المحفة، وانحنت "**جاكلين**" كي تربط حذاءها، ثم ارتفعت يدها إلى قمة جوربها، وانتصبت وفي يدها شيء ما. وكان هذا الشيء مسدسا. واختلج "**سيمون دويل**" اختلاجة قوية ثم سكن، فألقت إليه بابتسامة غائمة، ثم وجهت المسدس إلى قلبها وضغطت الزناد، فسقطت حيث كانت واقفة ولا حراك بها.

وصاح "**ريسي**" مستنكرا، أما "**بوارو**" فلم يتحرك، وأحس بيد توضع فوق ذراعه، فالتفت ليرى السيدة "**آلرتون**" تقول:

– لقد كنت تعلم سلفا.. أليس كذلك؟

– بلى.. فقد كنت أعرف أن لديها اثنين من ذلك النوع.

– وهل كنت تريدها أن تختار هذا الطريق؟

– نعم.. فهذه ميتة تليق بها.

– ولكن الوغد حظي بميتة أسهل مما يستحق.. والآن آمنت أن الحب العميق قد يكون وبالا عظيما.

– نعم.. ولأمر كانت جميع قصص الحب الكبرى من نوع المأساة. ووقع نظر السيدة "**آلرتون**" على ابنها متأبطا ذراع "**روزالي**"، فقالت بحماس:

– ولكني أحمد الله على أن في الدنيا أيضا حبًّا يؤدي إلى السعادة.

– احمدي الله يا سيدتي على ذلك، فبالشكر تدوم النعم. وبدأ الركاب يغادرون "**الكرنك**" ليتفرقوا بعد ذلك، فمضى كل منهم إلى وجهته بعد أن جمع بينهم القدر لأمر كان منذ الأزل مُقَدَّرًا مسطورًا!

تمت بعون الله